نبی رحمۃ
محمد
صلی اللہ علیہ وعلی آلہ وسلم

دار الكنزي للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

محمد صلاح شديد

المدير العام

إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الوهاب

الكتاب : محمد نبي الرحمة
تأليف : محمود الرفاعى
تصنيف الكتاب : دينى
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٧٦٨٩ / ٢٠١٩

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وآله

محمود الرفاعي

الكنزي
ALKANZY

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد صلي الله عليه وسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له وان محمد رسول الله الكريم الذي بعثه رحمة للعالمين

أما بعد.

قبل بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم ظهر الفساد في جميع البلاد العربية، فعميت القلوب، وضلت النفوس، وانتشرت عبادة الأصنام والأوثان، ومنهم من كان يعبد الشمس والقمر، وكانوا يشربون الخمر، ويلعبون الميسر، وانتشرت بينهم العادات السيئة، والرذائل-فكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر وكان الرجل في الجاهلية يقتل ابنته خشية العار. وقد أمعنوا في ارتكاب المنكرات والرذائل والسلب والنهب، والانتقام، لا يردعهم ضمير ولا يردهم قانون، وكانوا لا يرون فرق بين الربا والتجارة. وزادت الحروب والغازات بين القبائل العربية لأتفه الأسباب، وانقطعت صلة الرحم وزادت الكراهية والفسق، والزنا، واستغلال الفقراء والعبيد وخلاصة

القـول إن الحالـة الاجتماعيـة كانـت بالغـة السـوء بسـبب انعـدام الشـفقة والرحمـة بـين النـاس.

ويبـدو أن هـذه الموجـة مـن الفسـاد وانحطـاط الأخـلاق كانـت موجـة عالميـة في هـذا الوقـت، فشـملت معظـم بقـاع العـالم في فـارس والهنـد، والـروم-وفي كثـير من بقياع العـالم، ويبـدوا أن قول الله تعـالي قـد تحقـق: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سـورة الروم: ٤١]

ومع كل ذلك كان للعرب الكثير من العادات الحسنة مثل:

الشـجاعة والفروسـية، والوفـاء بالعهـد وكراهيـة الغـدر والكـذب، ورعايـة الجـار والسرعـة في نجدتـه، واحـترام الضيـف وإكرامـه، والشـهامة والمـروءة، كـما تمتعـت المـرأة العربيـة بقسـط مـن الحريـة كـما تميـزت بحرصهـا عـلي شرفهـا واعتزازهـا بكرامتهـا.

ولمـا أتي محمـد صـلي الله عليـه وسـلم وبـشر بديـن الإسـلام أحـدث زلـزالاً بـين النـاس، فدعـي الرسـول الكريـم إلى عبـادة إله واحـد هـو رب الكـون كلـه وحـده لا شريـك لـه، ودعـا إلى نبـذ عبـادة الأصنـام والأوثـان، وأمرهـم بالصـلاة والـزكاة والصـوم والحـج إلى بيـت الله والتمسـك بكتـاب الله الكريـم والقـرآن المجيـد وشـجعهم عـلى طلـب العلـم ودراسـة الكـون وأسراره، والبحـث عـن الحقائـق والتعمـق والتدبـر في خلـق السـماوات والأرض،

والشمس والقمر، وأرشد الناس إلى حسن المعاملة، وعمل الخير والتمسك بكتاب الله القرآن الكريم، والعمل بسنة رسوله العظيم محمد صلي الله عليه وسلم، ونهاهم عن الكيل الظالم في الميزان وفي المعاملات التجارية ونهاهم عن شرب الخمر ولعب الميسر فصلح حال المجتمع، وهدأت النفوس، وساد العدل والمساواة بين الناس، وشعروا بالإخاء والرحمة والتسامح وتسابق الناس إلي فعل الخير وترك المعصية، والتقرب إلي الله تعالي، فصفت القلوب وتوحدت، وتخلصت الإنسانية من الظلم والعبودية، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]

أمر الله تعالي رسوله الكريم بالدعوة إلى الدخول في دين الله تعالي سراً، ثم جهراً، وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والتمسك بالفضائل، ونبذ الرذائل، واختاره الله وأمره بتبليغ رسالته بالحسني، والقول اللين، والكلمة الطيبة دون إكراه أو إجبار أو سيطرة، ووعد الله المؤمنون به وبالرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم وباتباع دستوره العظيم القرآن الكريم بجنة عرضها السماوات والأرض خالدين فيها أبدا، ووعد الكفار الذين لا يؤمنون بعذاب أليم وخلوده يوم القيامة، يوم قيام الساعة في نار جهنم وبئس المصير.

أما لماذا انتشر الإسلام وأصبح عدد المسلمين في العالم يزيد عن خمس عدد السكان في العالم أي ما يربو على المليار ونصف مليار مسلم؟ فلا تتعجب وتندهش.

لقد كان محمد مثاليا في خلقه كان خاتم المرسلين، بلغ الذروة والكمال، فاصطفاه الله رسولاً ليكون قدوة حسنة في أقواله وأفعاله، وقد خاطبه الله تعالي بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]

لقد كان خلقه القرآن. منحه الله عقلاً راجحاً، ورأياً سديداً، وذهناً حاضراً وعُرِفَ محمدُ بالعفو عند المقدرة، والصبر علي المكاره، والعدل والتسامح، والشجاعة والرحمة، والصدق والأمانة، والورع والتقوي، والوفاء، والتواضع، والزهد، والقناعة، وقول الصدق، وجاهد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فكان عظيماً في إيمانه القوي برسالته السماوية، فكان يثق في الله تعالي وبنصرته له، وكان يُلقب بالصادق الأمين، فلم يره أحد منذ نعومة أظافرة يكذب، وكان يعطف علي الفقراء والمساكين، ويقف في صفهم، وكان يزور المرضي، ويواسي الجرحى، ويبر زوجات الشهداء في الحرب. فلا عجب أن تَصُب كل هذه الصفات الحميدة والكريمة في ميزان أخلاقه فكانت سبباً في نجاحه الباهر في تأدية رسالته التي وكله الله بها وكانت سبباً في جذب أمم كثيرة والدخول في دين الله أفواجاً.

وكانت لكل رسول معجزة أو أكثر ليبرهن بها للناس على أن رسالته من عند الله تعالي، وكانت معجزات الرُسُل التي سبقت الرسول محمداً صلي الله عليه وسلم وقتية، حدثت وقت حدوثها وزالت، أما الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم فكانت معجزته التي اختصه الله بها ثابته وباقية إلى الأبد خالدة. لقد كانت معجزة الرسول الكريم هي القرآن الكريم فقد تحدي به بلغاء العالم وافصحهم في اللغة العربية لغة العرب، فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة من سور القرآن. ومن الذي آتي بالقرآن؟

النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة كلية. كيف لنبي لم يقرأ ولم يكتب من قبل كما يعرفه العرب من قبل ولم يذهب إلى مكان لتلقي العلوم فيه، ولم يعلمه أحد يأتي بهذا القرآن العظيم بلغة عربية فصيحة قوية لا خطأ فيه. ولا تفاوت ولا تعارض بين آياته فما يثبت أن القرآن المجيد من عند الله تعالي وليس من عند البشر، وصدق الله الكريم حيث قال عن كتابة الكريم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢]

وقال تعالي أيضاً: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص:٢٩]

وقد تكفل الله تعالي بحفظ القرآن من كل سوء أو من التبديل والتحريف والزيادة والنقص حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

لقد عَرَضتُ في عجالة قصيرة حال العرب قبل الإسلام قبل ظهور البعثة المحمدية، وكيف أحدث ظهور محمد صلي الله علية وسلم انقلابا في حياة الناس وتغييرا في حياتهم وكيف أثر بشخصيته العظيمة في نفوس قومة وفي نفوس الناس جميعاً في كل انحاء العالم، وسوف نعرض في بدأ الكتاب بتعريف عن النبي صلي الله علية وسلم، ثم ندخل إلي المنهج الرئيسي للكتاب الذي يشمل معظم صفحاته في سرد وإبراز شمائل الرسول صلي الله عليه وسلم ومكانته وما قدمة للبشرية من خير مع التركيز علي إبراز جوانب الرحمة والسماحة والعدل، والخلق الكريم في شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم وأوردنا في نهاية هذا الكتاب التصدي لمحاولات النيل من مكانة الرسول الكريم وكيف تصدينا للافتراءات والأكاذيب التي روجها الحاقدين والمنغصبين والملاحدة والذين من هواياتهم تشويه الحقائق ونشر الأكاذيب وكيف قمنا بالرد عليهم بالمنطق والحجة دفاعاً عن رسولنا الكريم المصطفي محمد صلي الله عليه وسلم ليتبين للناس الحق من الباطل.

وقد راعيت أن يكون البحث سهلاً خالياً من التعقيد لا صعوبة فيه ولا تكلف، بألفاظ سهلة عذبة وأفكار منطقية

واضحة وأوردت الآيات القرآنية وكذا أحاديث الرسول الكريم وأحاديث الصحابة الذين أهتموا بجمع تراث شمائل الرسول وصفاته الكريمة راعيت السهولة في السرد وابتعدت عن الكلمات الصعبة حتى يقرأ ويفهم هذا البحث ليس المسلمون والمتخصصون فقط ولكن ليقرأه غير المسلمين من الديانات الأخرى، أو من يرغب في الهداية.

وفقني الله تعالي بهذا الجهد المتواضع أن أساهم في وضع لبنة لخدمة ديننا الحنيف ولرفعة شأن الإسلام والمسلمين في كل بقاع المعمورة.

حياة الرسول محمد صلي الله عليه وسلم

ولد الرسول صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل سنة ٥٧١ ميلادية بمكة المكرمة، وابوه عبد الله أشرف الناس نسباً، وينتسب النبي صلي الله عليه وسلم إلي بني هاشم أشهر القبائل العربية، أمه هي السيدة آمنه بنت وهب ابن عبد مناف، ولا ريب أن البيت النبوي بيت رفيع المستوي عظيم السمعة والشرف والمجد مشهود له بالكرم وجميع الصفات الحميدة لأنه ليس غريباً أن يختار الله منه رسولاً ليرسله رحمة للعالمين.

وقد توفي أبوه عبد الله بعد شهرين من حمله فصار يتيماً قبل أن يولد، كما ماتت أمه عندما بلغ السادسة من عمره، وتولي تربيته بعد ذلك جده « عبد المطلب» ولكنه مات وهو في الثامنة من عمره ليكفله عمه « أبو طالب»

اشتغل الرسول برعي الغنم في صباه ويبدوا أن هذه المهنة كانت مهنة كثير من الرسل والانبياء فموسي رسول الله كان راعي غنم وداوود أيضاً كان راعي غنم ويبدوا أن هذه المهنة قد عودت الراعي اللطف والشفقة والرأفة والحكمة في تربية هذه الحيوانات الوديعة التي لا حول لها ولا قوة، لتكون بداية لمسايسة البشر وهدايتهم عندما صار الرسول شاباً اشتغل بالتجارة، واختارته السيدة خديجة بنت خويلد من خير بيوت أشراف قريته اختارته ليكون زوجاً لها وفضلته على كثير من شباب قومها وأعجبت بشخصية الرسول وصفاته الحميدة وتزوج منها وهو في الخامسة والعشرين من عمره .

كان النبي صلي الله عليه وسلم يكره عبادة الأوثان والأصنام ولا يخرج للحج مع الوثنين، وكان يذهب إلى «غار حراء» ليتأمل في الكون ويفكر في أحوال قومه وما هم فيه من ضلال وأثناء وجوده في الغار وهو في الأربعين من عمره نزل عليه الوحي وأبلغه أنه رسول الله وقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ١:٥]

وكانت هذه أول سورة تنزل علي الرسول الكريم.

تعرض الرسول للإيذاء والاعتداء من المشركين وواجه الرسول صلي الله عليه وسلم من قومه الاضطهاد والكراهية

لكن الله تعالي نصره على المشركين ونشر دين الحق، ورفع راية الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا.

لم تكن دعوة الإسلام علي عرب شبه الجزيرة العربية فقط بل أرسل دعوته لكافة الناس في جميع الأقطار فيقول الله تعالي مخاطباً النبي صلي الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨]

حينما تخلص الرسول من خطر قريش واليهود وجه دعوته إلى رؤساء القبائل العربية، وملوك الدول المجاورة فأرسل إلي أمير البحرين وأمير عمان والكثير من أمراء اليمن وأرسل إلى هرقل ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر وأرسل إلى كسري ملك الفرس.

فالدعوي إلي الإسلام دعوة عالمية، والدين الإسلامي يصلح لكل زمان ومكان والتمسك بهذا الدين ينجي الناس ويخرجهم من الظلمات إلي النور.

لقد أرسي الرسول قواعد الدولة الإسلامية وكان قائد المسلمين العسكري الذي يقود الغزوات ويعقد المعاهدات وقائدها السياسي الذي يحكم بين الناس بالشوري والعدل وقائدها الديني الذي يرشد الناس ويفقههم في دينهم.

وكان مصلحهم الاجتماعي الذي غير العادات والتقاليد السيئة وأبدلها بالأعراف والثوابت الحسنة الكريمة.

وسبحان الله تعالي فقد فعل الرسول كل هذا ونجح كل هذا النجاح وهو فقير إلي الله تعالي متواضعاً لا يَملُكُ سلطة المال ولا يتمتع بجاه الملوك والسلاطين.

لقد أحدث الإسلام تغيرات هامة بالغة الأثر في النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فانتهت عبادة الأصنام والأوثان واستند الإسلام إلي قانون سماوي هو القرآن الكريم.

وأصبحت عبادة الله وحده لا شريك له هي السائدة بين العرب، وأدي الإسلام إلي توحيد العرب لأول مرة تحت لواء دولة واحدة يسودها العدل والمساواة بعد سنوات من العصبية والانتقامات والحروب بين القبائل.

وحرم الإسلام الأخذ بالثأر وسفك الدماء، وشرب الخمر ومنع وأد البنات وساوي بين الناس ورفع مكانة المرأة ودعا إلى طاعة الوالدين وحسن معاملتهما.

ونظم حياة الأسرة علي أساس المودة والرحمة والتعاون والمساعدة على إقامة مجتمع إسلامي متميز.

وحث الإسلام علي العمل، ونظم معاملات البيع والشراء بين الناس، وحرم الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

وبفضل هذه الآثار التي أحدثها الإسلام في حياة العرب وبفضل هذه التغيرات الإيجابية انطلقت الدولة العربية

الإسلامية في شبه الجزيرة العربية حاملة لواء الحضارة والتقدم إلى انحاء العالم.

شخصية الرسول محمد العظيمة وأخلاقه

حينما أختار الله تعالي الرسول صلي الله عليه وسلم لتبليغ رسالته لم يختاره من فراغ بل اختار رجلاً يتحمل مسئولية ثقيلة لا يقدر علي حملها مثله، ولما أشتد إيذاء الكفار له أرسلوا إلى عمه أبى طالب يحدثونه بشأن ابن أخيه محمد صلي الله عليه وسلم أن يترك هذه المهمة الشاقة على أن يعطونه المال كيفما يشاء، والجاه والسلطان بجعله رئيس وزعيما لهم ولما حدثه عمه أبو طالب بهذا الشأن رفض وقال محمد له: والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهر دونه أو يظهره الله.

كان محمد مثلا كاملا للإنسان الكامل، وشخصية قوية جذابة نافذة لا يضارعه أحد في كمال صفاته وعظمته في زهده وعفته، وصدقه وأمانته، وصفاء طبعه، ونبل خلقه وطهارة قلبه ورجاحة عقله، وثباته على المبدأ وإيمانه بالرسالة العظيمة التي وكله الله بها.

كان قوى العزيمة متمسكا بالحق-صبر على أداء الرسالة وتحمل مشقة تبليغها إلى قومه، وكان رحيما يعطف على الفقراء والمساكين، شجاعاً في الحق لا يخاف ولا يلين، شديد الايمان، متمسكاً بالعدالة والنزاهة، تقياً يخاف الله-زاهداً في الدنيا،

لا يفكر ثمناً أو مال أو سلطة بالرغم من أنه أوتي الحكم والسلطة والولاية على أموال المسلمين وخزائنها التي كانت تحت أمره، ولكنه يا سبحان الله مات ودرعه مرهونة عند يهودي نظير حفنة من المال ديناً لهذا اليهودي.

لقد كان المثل الأعلى في أقواله وأفعاله، وكان المصلح الاجتماعي الأكبر الذي لا نظير له بين المصلحين.

يقول « سير وليام موير» في كتابه «سيرة محمد» صلي الله عليه وسلم امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وأنه أتم من الاعمال ما يدهش الألباب، فلم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل محمد صلي الله عليه وسلم، فلا عجب فمحمد صنع أمة ملأ ذكرها التاريخ، وأحيا قوماً كانوا جفاة براة ليس لهم حظ من علم، فملئوا الأرض علما ونورا وعرفانا وأدهشوا الأمم العريقة في الحضارة والراسخة والتقدم في العمران.

ويقول « توماس كارليل» الفيلسوف الإنجليزي والكاتب والمؤرخ في كتابه «الابطال»: قوم يضربون الصحراء عدة قرون لا يسمع عنهم أحد، فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والفرقان، فكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذله، ولم يمضي قرن من الزمان حتى استضاءت أطراف الأرض بعلومهم وعقولهم.

ويقـول « اللـورد هـدلي» رسـالة محمـد رسـالة إلهيـه صادقـة لا ريـب فيهـا هـدي للمتقـين، وأوحـي الله بهـا إليـه، مخففـة لصرامـة أحـكام التـوراة ومكملـة لكتـاب المسـيح.

كان محمـد داعيـاً إلى الرحمـة والعـدل، والكـرم والشـجاعة والصـبر عـلى المـكاره، والصـدق والأمانـة، يعتقـد ويؤمـن أن الديـن هـو أقـرب الأشـياء إلي العقـل وإلي الطبيعـة، وان الإنسـان مـا هـو إلا مظهـر مـن مظاهـر الله غيـوراً متحمسـاً وكانـت غيرتـه وتحمسـه بغـرض نبيـل ومعنـاً سـام.

وقـد سُـئِلَت السـيدة عائشـة زوجـة الرسـول – بعـد وفـات زوجتـه السـيدة خديجـة عـن اخـلاق المصطفـي صـلي الله عليـه وسـلم، فقالـت:

«كان خلقه القرآن».

جـاء الرسـول بدسـتور عـام مـن عنـد الله، وهـو القـرآن الكريم الـذي لا يأتيـه الباطـل مـن بـين يديـه ولا مـن خلفـة، تنزيـل مـن حكيـم حميـد، وشرع للنـاس قوانينـاً وأحكامـاً تصلـح لـكل عصر، وكل مـكان.

لقـد أخلـص الرسـول العظيـم في تأديـة الرسـالة كل الإخـلاص ونجـح نجاحـاً لا نظـير لـه في تبليـغ الدعـوة الإسـلامية، وهـدي الضالـين المشركـين بـالله إلي الحـق والعـودة إلى الإيـمان بـالله وحـده لا شريـك لـه، فانتـشر الإسـلام بسـبب صدقـه وأمانتـه وثباتـه علي الحـق والتمسـك بالعـدل، ولا عجبـن إذا قولنـا إن محمـدا رسـول

الله خاتم المرسلين أقوي الأنبياء المرسلين إلي البشر وأعظمهم جميعاً.

محمد رسول الله نبي الرحمة

خاطب الله الرسول صلي الله عليه وسلم في القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم:٤]

لم يكن الرسول ملاكا منزلا من السماء لكنه كان بشراً يأكل ويشرب وينام ويمشي في الأسواق، لكنه كان المثل الأعلى في كل صفة من الصفات وكل فضيلة من الفضائل.

كان المصطفي صلي الله عليه وسلم مثلا للرحمة والشفقة بالمؤمنين والكافرين الأصدقاء والأعداء لأن الرحمة صفة إنسانية عامة علي قدر كبير من العظمة أودعها الله تعالي في قلوب عباده لكنها في درجتها تختلف من فرد إلى فرد وكانت هذه الصفة في أعلي درجاتها عند محمد صلي الله عليه وسلم، وقال الله تعالي يخاطب الرسول العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]

وقد شملت رحمته صلي الله عليه وسلم الكبار والصغار، الرجال والنساء، المسلمين والمشركين.

فقد علم بعد إحدى الغزوات أن أطفالا صغارا قتلوا بين صفوف المشركين فحزن حزناً شديداً. فقال بعض الحاضرين

ما يحزنك يا رسول الله وهم صبية للمشركين. فغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم وحزرهم من قتل الأطفال في حروبه وغزواته بعد ذلك وقال إنهم على الفطرة أي لا يدركون شيئاً ويتصرفون بتلقائية غريزية.

وروي البُخاري قال: مرت بنا جنازة، فقام لها النبي وقمنا، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال: أوليست نفساً؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا دون أن تسألوا لمسلم أو لغير مسلم.

وفي قراءة كتاب الله الكريم وإثبات صفة الرحمة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث يقول العلي القدير وهو يخاطب نبيه الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]

والمعني أنه يا أيها الرسول لو كان قلبك قاسياً شديداً وأنت تخاطب قومك لتركوك وذهبوا بعيداً عنك لكنها رحمة الله أودعها الله في قلبك وجعلتك تلين لهم، فاستغفر لهم وتوكل علي الله.

لقد كان قلب الرسول رقيقاً شفوقاً علي الناس يخاطبهم برقة وليونة وبساطة شديدة مما جعل الكثير من قومه يقبلون عليه وينهلون من عطفه وكرمه ورحمته.

وقال أسامة بن زيد يتحدث عن طفولته مع رسول الله:

كان الرسول يأخذني ويقعدني علي فخذه، ويقعد الحسن علي فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول:

اللهم ارحمهما فإني أرحمهما.

لقد كان هذا الرسول الكريم سبباً في رحمة البشرية، ونجاة لمن أطاعه من عذاب النار وعتقه منها.

كان الرسول ينصر المظلوم ويرد الظالم ويصل الرحم ويعين علي الحق ويعطف على الفقراء والمساكين ويقضي حوائجهم ويستمع إلى شكواهم وينصرهم ويصرف لهم ما يحتاجونه من المال ويوزع عليهم زكاة المال بالعدل والمساواة، وكان يعود المرضي ويزورهم ويشفق عليهم ويدعوا لهم بالشفاء ويقرأ القرآن في حضورهم فيكون شفاء لهم من كل مرض بإذن الله.

وعن أنس رضي الله عنه قال:

إن النبي صلي الله عليه وسلم سمع بكاء صبي أثناء الصلاة فخففها فقيل: يا رسول الله خففت هذه الصلاة اليوم، فقال: إني سمعت بكاء صبي فخشيت أن يشق ذلك علي أمه والمعني أن الرسول صلي الله عليه وسلم حينما يسمع بكاء أحد الأطفال وهو يصلي بهم في جماعة فكان يخفف الصلاة ويقرأ الصور القصيرة حتى تنتهي الصلاة بسرعة ويسرع من يصلي خلفه لنجدة ابنه أو ابنته.

ولقد أخذت أبحث عن الأسباب التي جعلت درجة الرحمة عند الرسول صلي الله عليه وسلم في أعلي تقديراتها عن غيره من البشر ومع إني أعلم أن الله يهب لمن يشاء من عباده قدرة خاصة يميزه بها عن غيره خاصة وأنه الرسول الكريم-لكنني حينما أبحث في الكون أري أن لكل ظاهرة علة وأسباب ولقد انتهيت إلى أن زيادة جرعة الرحمة والشفقة عند رسول الله كانت لها أسبابها كما يلي:-

١-اشتغال الرسول برعي الغنم في صباه:

يبدوا أن مهنة رعي الأغنام كانت سائدة بين كثير من الرسل والأنبياء فسيدنا موسي وكذا داوود عليهم السلام عملا برعي الأغنام.

كان الرسول حينما يذهب في الخلاء وهو صبي لرعي الأغنام في الصحراء الجرداء بعيدا عن أهله وعشيرته يتأمل الكون ويفكر فيه، وفي خالقه-ينظر إلى السماء ويتدبر خالقها ويري الشمس والقمر وهو وحيداً فيتعمق في دراسة هذا الكون بفطرته التي فطره الله عليها وهو صبي.

لقد عوده رعي الغنم المسئولية عن القطيع الذي يتولاه فكان يحنو عليها ويشفق على صغارها خوفاً من الذئاب فتعوده الحرص والانتباه واليقظة ومحاولة المساعدة في إطعامها ويذكرني ذلك بدور الأم في الأسرة التي تشرف وترعي صغارها وتقدم لهم الطعام والشراب وجه المقارنة واضح بين الرحمة

التي أودعها الله في قلب الأم وبين الرحمة والشفقة التي تتجلي في مهمة رعي الأغنام التي قام بها الرسول.

إن الأغنام الوديعة التي يرعاها النبي في صباه وهي لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى (مهاجمة الذئاب لها) تجعلها مدعاة لكي يشفق عليها الرسول ويسبغ عليها ما أودعه الله في قلب الرسول من رحمة، وإننا لنري اليوم قيام الكثير من جمعيات الرفق بالحيوان وهي منتشرة في أوروبا وفي أماكن كثيرة في العالم ماهي إلا من نتاج دعوة الرسل والأنبياء وخاصة نبينا الكريم محمد رسول الله في الرحمة والشفقة بالإنسان والحيوان.

٢-تعرض الرسول للأذى والاعتداء وتحمله الآلام والصبر عليها

يا لله لماذا يحضرني الآن مشهد الام وهيا تتلوي من الألم أثناء الولادة وتصبر وتتجلد وتتحمل كل هذه الآلام أثناء المخاض حتى ينزل جنينها بسلامة الله هل هذه الآلام التي تحملتها الأم هي التي تعطيها جرعة الرحمة والشفقة بعد ذلك على أطفالها؟ إن هذا يمكن أن يكون أحد أبحاث علماء النفس وليس مجالنا الآن، لكنه يقيني أن ارتباط تعرض الإنسان للألم والصبر عليه يعطيه فرصة عظيمة للتزود بجرعة كبيرة من العطف والحنان والرحمة علي البشر، والإحسان والتسامح مع الغير.

أين رسول الله حبيبنا المصطفي صلي الله عليه وسلم من هذا؟ :-

أ) -حينما أمر الله تعالي الرسول بالجهر بالدعوة إلى دين الله تعالي اشتد إيذاء الكفار والمشركين للرسول وللمسلمين اللذين اتبعوه وآمنوا به فتحمل الرسول الكثير من الآلام في سبيل نشر دعوته وصبر وجاهد نفسه على تحمل هذه الآلام ومشقتها وقد خاطبه الله تعالي بقوله: ﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [سورة طه: ١، ٢]

ب) -تعرض الرسول صلي الله عليه وسلم للألم إلى حد البكاء الذي يطهر النفس ويصفيها ويودع فيها الشفقة والرحمة والحنان لقد تألم الرسول كثيراً وبكي وصبر على فقد أحبابه في المواضع الآتية:

١-موت أمه السيدة آمنه بنت وهب عندما بلغ السادسة من عمرة.

٢-موت حده عبد المطلب الذي كفله ورباه وهو في الثامنة من عمره.

٣-موت عمه أبي طالب الذي كفله ورباه بعد جده عبد المطلب ومما يجدر ذكره أن جده عبد المطلب وعمه أبا طالب كانا يعاملاه كابن لهما وكانا يعطفان عليه وكان أو طالب يحبه حباً جماً أكثر من حبه لأولاده وكان رحيماً به وكانت زوجة أبو طالب السيدة فاطمة بنت أسد تشارك في تربيته والعناية به والعطف عليه حتي حينما ماتت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (اليوم ماتت أمي) وكفنها بقميصه.

٤-مـوت أولاد الرسـول صـلي الله عليـه وسـلم وعددهـم سبعة وكلهـم مـن السـيدة خديجـة زوجتـه رضي الله عنهـا مـا عـدا (إبراهيـم) فهـو مـن ماريـة القبطيـة.

وكل أولاد الرسـول ماتـوا قبـل مـوت الرسـول ماعـدا السـيدة فاطمـة فإنهـا ماتـت بعـد الرسـول بسـتة أشـهر.

٥-مـوت السـيدة خديجـة زوجتـه وكانـت نعـم الزوجـة المعينـة لزوجهـا في أداء رسـالته ونعـم الزوجـة البـارة الوفية وكان الرسـول يحبهـا كثـيراً وقـد حـزن كثـيراً لفراقهـا.

رأينـا رسـولنا الكريـم يتعـرض للحـزن والألم بجرعة كبـيرة حقاً لفقـد الكثـير مـن أفـراد عائلتـه ولكـن الله ألهمـه الصـبر والتحمـل فـكان دافعـاً لتنقيـة سريرتـه وتشـبعها بجرعـة كبـيرة مـن العطـف والرحمـة والشـفقة والحنـان.

٦-قضاء الرسول فترة صباه يتيماً وكفالة جده ثم عمه له.

قـضي الرسـول صـلي الله عليـه وسـلم فـترة صبـاه منـذ نعومـة أظافـره يتيـماً كـما رأينـا بعـد فقـد الأب والأم اللـذان همـا سـند الأسرة وعونهـا وانتقـال كفالتـه إلي جـده ثـم عمـه سـاهم في ثقـل شـخصية محمـد صـلي الله عليـه وسـلم وتعـوده الاعتـماد عـلي النفـس وشـحذ عاطفتـه بالحـب والعطـف والحنـان الـذي يتدفـق عليـه مـن كل مـن يعـرف أنـه يتيـم الأب والأم وخاصـة الاسـتقامة التـي كانـت تميـزه وهـو طفـل عـن أقرانـه فالـكل يحبـه ويحنـو عليه لأدبـه وخلقـه وكـمال صفاتـه، ويبـدوا أن انتقـال كفالتـه إلي جـده

ثم عمه وهم من أسياد قريش وعظمائها قد عوضاه عن فقد الأب والأم واليتم الذي رآه إلي درجة الشبع من جرعات العطف والحنان والرحمة ربما أكثر مما كان سيناله من والده وكل ذلك بتدبير من الله العلي القدير وله حكمه في ذلك مما ساهم في خلق عاطفة الرحمة في شخصية محمد صلي الله عليه وسلم ويبدوا أن قوة شخصيته وطريقة التربية التي اتبعاها عبد المطلب وأبو طال أثناء كفالتهم للرسول صلي الله عليه وسلم قد جعلته ينجو من التدليل الزائد الذي نراه اليوم في بعض ما يتبعه الآباء والأمهات في تربية أولادهم .

ونعود ونقول إنه من تدبير الله تعالي الذي تولاه وأهله لتأدية هذه الرسالة العظيمة.

٧-كثرة عدد أرامل الشهداء الذين قُتلوا في حروب الرسول وغزواته:

خاض الرسول عدة غزوات وحروب ضد المشركين دفاعا عن دين الله تعالي وفي سبيل نشر الدعوة بالحق والقضاء علي الباطل وتخلفت عن هذه الحروب والغزوات أعداد ليست قليلة من النساء أصبحوا أرامل لأزواجهم الشهداء في القتال وحس الرسول صلي الله عليه وسلم بخلقه الكريم وضميره اليقظ بمسئولية تجاه هؤلاء الأرامل وتجاه أولادهم أو من يعولونهم وهي مسئولية كبيرة لراعي الإسلام محمد صلي الله عليه وسلم فكان لزاماً عليه أن يتكفل برعاية أسر الشهداء

والتأكد من إعاشتهم فنجح في ذلك وقام بالمهمة خير قيام، حتي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قد تزوج بعض هؤلاء الأرامل الكبار في السن لكي يرعاهم ويعوضهم عن فقد من يعولهم.

ويبدوا أن كثرة التعرض لهذه الحالات من الأرامل قد خلقت النفس الرحيمة في شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم وأوجدت حالة من الحنان والعطف الدائم والمستمر في قلب الرسول صلي الله عليه وسلم مما حبت بالإيجاب في ميزان خلق الرحمة والإحسان عند رسول الله الكريم.

ويروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم:

أنه قد مات أحد أولاد بناته المتزوجين فبكي الرسول كثيراً وسقطت الدموع على خديه، فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟

فقال الرسول» هذه الرحمة أودعها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وفي قراءة كتاب الله الكريم وإثبات صفة الرحمة عند رسول الله العظيم حيث يقول الله العلي القدير وهو يخاطب المؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨]

لقد كان هذا الرسول الكريم سبباً في رحمة البشرية ونجاة لمن أطاعه من عذاب الله وعتقه من النار.

لقد شملت شفقة ورحمة الرسول ليس الإنسان فقط بل كانت لكافة المخلوقات التي شملت الطير والحيوان فقد كان الرسول يدعو الإنسان الذي يريد ذبح طير أو شاة أو إبل أو ماعز من أجل الأكل أن يريح هذا الكائن الحي ويحسن قتله بأن يحد الشفرة أو السكين التي يذبح بها ويتم عملية الذبح بسرعة حتى لا يشعر الطائر أو الحيوان بالألم.

فقد قال صلي الله عليه وسلم: إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته.

لقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم بمغفرة الله عز وجل لما سقي رجل كلباً رآه يلهث من العطش فشكر الله له وأدخله الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً رأي كلباً يأكل الثري من العطش ويلهث فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف به ماء من بئر في الصحراء فيغرف به ويسقي هذا الكلب حتى أرواه فشكر الله له وأدخله الجنة.

رواه أبو هريرة عن الرسول صلي الله عليه وسلم.

وقال الرسول: من لاَ يَرحَم لا يُرحَمُ.

وأخبر أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ولقد عاتب الرسول صلي الله عليه وسلم رجلاً جَوع جَمَلُه وتركه بلا طعام فرأي الرسول الكريم الجمل يزرف الدموع وكأنه يبكي كالإنسان فعاتب الرسول الرجل وأمره بالرفق بدابته.

ولما كانت طبيعة النساء رقة العواطف والضعف وقلة التحمل كانت العناية بهن أعظم والرفق بهن أكثر وقد تجلي ذلك في خلقه وسيرته علي أكمل وجه فحث رسول الله صلي الله عليه وسلم على رعاية البنات والإحسان لهن وكان يقول:

« من ولي من البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له سترا من النار»

بل إنه شدد في الوصية بحق الزوجة والاهتمام بشئونها فقال:

ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينه.

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يعامل أهل بيته بالرفق والإحسان ويتلطف معهم ويمازحهم وضرب بذلك أروع الأمثلة في الرحمة والحنان مع البشر فربي أولاده تربية حسنة، من يخطئ منهم يلفت انتباهه إلي خطأه برفق ولين ومن يصيب يكافئه ويتودد إليه ويحسن له، فإذا كان الرسول رحيماً بالناس أجمعين حتى اللذين عارضوه وتربصوا به من

المشركين فكيف لا يكون رحيماً محسناً مع أهل بيته وأولاده وزوجته خاصة.

فقد كان الرسول يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع ابنته رجلها على ركبته حتى تركب البعير وكانت تأتيه ابنته فاطمة رضي الله عنها ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها في مكانه الذي يجلس فيه.

أين معاملة الرسول الكريم لأهل بيته من القسوة والجبروت الذي نراه في معاملة رب الأسرة في بعض الأسر اليوم لأهل بيتهم.

فالقسوة والجبروت في معاملة الأطفال لا تولد إلا قساة جبابرة فجرة يخلون بميزان الأمن والأمان والسلام بين البشر.

إن الرحمة التي أودعها الله في قلوب البشر إذا انتزعت من نفوسهم صارت القلوب جامدة والعواطف متصلبة شاردة والقسوة غالبة وينتشر الظلم والطغيان بين الناس ويسود الفساد وينعدم العدل بينهم فتنضب المحبة بين قلوب البشر وتنعدم المحبة والمودة بين سائر العباد وتعم الكراهية بينهم.

وصدق الله تعالي حين قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: ٢١]

ومن عظم هذه الصفة أن جعلها الله تتصدر إحدى آياته الكريمة لأن المودة تعني الحب والرحمة تعني الشفقة والحنان والإحسان فهل تعادل هاتان الصفتان أي صفات أخرى أودعها الله في الإنسان؟ يقيني أنه بالحب والمودة والحنان إذا تواجدت في قلوب عباد الله لاستراح الناس من عناء الشكوى والمشاكل في حياتهم.

ولا يشكوا أحد من التعاسة والغم التي تتصدر حياة عباد الله في كافة أنحاء الدنيا.

رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بالضعفاء والمساكين والأيتام

كان الرسول صلي الله عليه وسلم رحيماً بالضعفاء والمساكين وكان يحب الفقراء ويحنو عليهم ويجالسهم ويستمع إليهم ويناقش مشاكلهم ويقدم لهم الحلول المثالية لها بطريقة عملية فكان يصرف لهم من بيت المال كما كان يعطيهم المال والطعام من خراج الزكاة وكان لا يحقر فقيراً ولا يقلل من شأنه ولا يعظم غنياً لغناه، كان يقرا السور القصيرة في صلاة الجماعة ولا يطيلها رحمة بالضعفاء والمرضي وكبار السن اللذين يصلون خلفه.

وكان في هجرته من مكة إلى المدينة عدداً كبيراً من الفقراء اللذين تعرضوا للإزاء والقهر من المشركين بعد أن أستولي الكفار على أموالهم وأمتعتهم وأخرجوهم من ديارهم، فساروا مع الرسول في هجرته فحس الرسول بمسئولية كبيرة نحوهم فحياتهم في رقبته، وإطعامهم ورعايتهم واجب عليه فكانت

يقظة ضميره وعلو همته وسماحة روحه ورحمته وشفقته وحنانه دافعاً كبيراً لحل مشاكلهم والاهتمام بهم فَأجَلوه وأحبوه لأنه نعم المعين لهم في نكبتهم بفضل الله تعالي ورحمته بهم.

وقال الرسول صلي الله عليه وسلم:

« اطلبوا الخير عند الرحماء من أمتي تعيشوا في أكنافهم، فإن فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن منهم سخطي»

وفي عطفه على الفقراء قال الرسول الكريم» من يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»

فلو أن المجتمع الإسلامي عمل بهذا الحديث الشريف لما وجدنا جائعا ولا عارياً ولا سائلا ولا محروما لأن اليد السخية والمبسوطة بالعطاء تدفع عائلة الفقر والحرمان.

ويقول صلي الله عليه وسلم» جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن هذا الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه «

وقد حث الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم علي بر اليتيم وكان الرسول يحبهم ويعطف عليهم ويساندهم وقد أوجب كفالتهم وعظم من أجر من يقوم بهذا العمل الإنساني النبيل وكان يقول:

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطي»

وجعل الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم الساعي علي الأرملة والمسكين كالمجاهدة في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل واعتبر الرسول أيضا وجود الضعفاء في الأمة والعطف عليهم سببا من أسباب النصر على الأعداء فقال:

أبغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم.

رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بالمرضي

كان المصطفي صلي الله عليه وسلم يعود (يزور) المرضي ويهتم بهم ويسأل عن مرضي المسلمين وكان يقرأ القرآن في حضرتهم فيكون الشفاء لهم بإذن الله.

دخل علي الرسول أسامة بن زيد وشفتاه تنزفان دماً لأنه تعثر وسقط على الأرض فأسرع إليه الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم ومسح الدم عن شفتيه وأخذ يعالجه حتى توقف النزف.

لم يأمر الرسول الكريم أحدا بعلاجه وهو جالس في مكانه ينظر إليه وإنما تولي بنفسه هذا العمل ليكون عمله هذا درسا لنا أجمعين في الرحمة بالناس والسرعة في علاجهم دون أن ننتظر من أحد أن ينقذهم.

كان الرسول يزور صحابته ويودهم ويسأل عنهم ومن كان منهم في مرض كان يكثف الزيارة إليه كان يشملهم بالرعاية والعطف ويطمئن عليهم ويودهم ويخفف عنهم حمل المرض، كان يزور سعد بن أبي وقاص وزيد بن الأرقم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أجمعين.

لم تكن زيارات الرسول مقتصرة على اللذين آمنوا به وبرسالته بل امتدت وشملت غير المؤمنين وذلك طمعا في هدايتهم ورغبة في دخول عدد منهم الإسلام كما فعل مع الغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادما فقد مرض هذا الغلام مرضاً شديداً فظل النبي الكريم يزوره ويتعهده بالرعاية والمودة والإحسان حتى شارف علي الموت فجلس الرسول صلي الله عليه وسلم عند رأسه ثم دعاه إلي الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه متسائلا ليعرف رأي والده في كلام الرسول فقال له أطع أبا القاسم فأسلم الصبي ثم فاضت روحه فخرج النبي الكريم وهو يقول:

« الحمد لله الذي أنقذه وأعتقه من النار»

وكانت علامات السرور والرضا قد ارتسمت على ملامح الرسول صلي الله عليه وسلم فكان فرحاً لدخول الصبي الإسلام قبل أن تفيض روحه.

وإذا تطلعنا سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم علي هديه النبوي في زيارة المرضي فكلن إذا سمع بمرض أحد بادر إلى

زيارته والوقوف بجانبه وتلبية رغباته واحتياجاته ثم الدعاء له بالشفاء وتكفير الذنوب إذا كان مسلما ودعوته إلي الإسلام إذا كان غير ذلك ومن دعائه ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يقول إذا أتي مريضاً:

«اذهب اليأس رب الناس، أشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»

وإذا احتاج المريض إلي رقية (كلمات تقال أو تكتب لطلب الشفاء للمريض من الله تعالي) بادر عليه السلام إليها، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقول للمريض:» باسم الله تشفي سقيمنا بإذن ربنا»

وربما صب على بعضهم ماء وضوئه المبارك فيشفي بإذن الله كما فعل مع جابر بن عبد الله.

ومن السنن القولية التي كان النبي صلي الله عليه وسلم يخفف بها عن المرضي تذكيرهم بالأجر الذي يلقاه الصابر المبتلى وذلك للتخفيف عن معاناتهم وتربيتهم على الصبر واحتساب الأجر.

وعن الرسول الكريم أنه كان يزور «أم السائب» وكانت مريضة فسمعها تسب الحمي التي أصابتها فقال لها:» لا تسبي الحمي فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب «الكير» خبث الحديد»

الكير:(آلة نفخ بالهواء مع النار لتلين الحديد)

خبث الحديد:(الشوائب العالقة بالحديد)

ومع ذلك أرشد الرسول صلي الله عليه وسلم الناس إلى التداوي بأنواع العلاجات المختلفة غير قراءة القرآن والرقية أرشدهم وحث على استخدام (الحجامة) -وهي وسيلة علاج بشفط الدم من الجسم -ووضع الماء على المحموم (الذي اصابته الحمي) وإلى الإرشاد للعلاج باستعمال عسل النحل والحبة السوداء وغير ذلك من العلاجات المباحة وغير المحرمة.

حيث قال المصطفي صلي الله عليه وسلم:

«يا عباد تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء»

وكان ينهي عن تمني الموت وضرورة الاستعداد للقاء الله كما رواه أنس بن مالك وكان الرسول الكريم ينهي عن الجزع والمبالغة فيه عند المرض بل حث على الصبر والتحمل إلى أن يأمر الله تعالي بالشفاء

الجزع: (الخوف الشديد مع الضيق وعدم الرضا بما كتبه الله علينا).

وعن الرسول صلي الله عليه وسلم قال:

ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة. (رواه بن ماجه)

رحمته صلي الله عليه وسلم بالأطفال

الشفقة والرحمة بالآخرين مما يحبه الله ويرضاه لعباده. وقال صلي الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء (رواه أبوا داوود الترمذي) والأصل في المؤمنين أنهم رحماء فيما بينهم أشداء على الكفار كما وصفهم الله بذلك حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح:٢٩]

وكان صلي الله عليه وسلم له النصيب الأوفر من هذا الخلق العظيم ويظهر ذلك واضحاً جلياً في مواقفه مع الجميع لا يفرق في المعاملة وفي تدفق هذا الخلق الرفيع ليشمل الصغير قبل الكبير والبعيد قبل القريب كان يحمل تلك الشفقة والرحمة لأولاده وكان يجد الوقت الكافي ليلاعبهم ويمزح معهم وكانوا يلقون الرعاية الكافية والحب والعطف والإحسان الدائم من الرسول وعن أنس بن مالك يروي عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه كان يري مداعبة الرسول الكريم لابنه إبراهيم وكان يقبله كثيراً ويحنو عليه ويضمه إلي صدره ولما مرض إبراهيم كان الرسول صلي الله عليه وسلم يحتضنه وهو في النزع الأخير (ساعة الموت وإفاضة الروح)

فأخذت عيني الرسول تزرف الدموع وكان حاضرا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من صحابة رسول الله ولما رأي الدموع في عيني الرسول قال له:

إنها الرحمة ثم قال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون. (رواه البخاري)

وكان الرسول يسمع بكاء الصبي وهو يصلي فيقرأ السور القصيرة ويقصر الصلاة حتى تنتهي الصلاة ويسرع والد الطفل لنجدة ولده.

فعدول صلي الله عليه وسلم عن إطالة الصلاة التي عزم على إطالتها ماهي إلا مظهرا من مظاهر الرحمة التي أودعها الله في قلب المصطفي كما أودعها في قلوب الرحماء من عباده.

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يحمل الرحمة والشفقة لأحفاده فكان يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب بنت رسول الله (حفيدته) فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

ولما أرسلت إليه إحدى بناته عندما حضرت الوفاة لصبي لها ودفعت به إلي الرسول وهو يلفظ أنفاسه وضعه الرسول في حجرة وأشفق عليه وفاضت عيناه بالدموع فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله قال له: «هذه رحمة جعلها في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (رواه البخاري ومسلم)

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يفرح بأطفال المسلمين ويهنئ بميلادهم ويباركهم ويسعد بهم وكان الرسول الكريم يبين للمسلمين كيف يستقبلون أبناءهم ويحثهم على الفرحة بهم والابتهاج بمقدمهم ويدعوهم للعقيقة عنهم يوم

سابعهم(العقيقة) =وليمة تقام في اليوم السابع لميلاد الطفل ويأكل الحاضر ما يجود به صاحب العقيقة من الذبيح.

وكان الرسول يشهد هذه الولائم ويحضرها وينوه بها إعلاء لشأنها وللمناسبة التي أُقيمت من أجلها.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة وقالت: فخرجت في آخر أيام الحمل فأتيت المدينة فنزلت بقباء (مكان في المدينة) ثم أتيت النبي صلي الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمره فمضغها وبلها بريقه ثم وضعها في فم المولود وأخرجها بعد ذلك فكان أول شيء وصل جوف الطفل هو ريق رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم دعا له وبارك له وكان أول مولود ولد في دولة الإسلام (متفق عليه).

وكان من هدي المصطفي صلي الله عليه وسلم عدم التفرقة بين البنين والبنات وإعطاء البنات من المحبة والتقدير حقهن كاملا وذلك في وقت كانت البيئة الجاهلية الجافية تقتل البنات فور ولادتها خوفاً من جلب العار إلى الأسرة وقد ذكر الله تعالي وأشار إلى ذلك في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النحل :٥٨-٥٩]

لقد كانت الدولة الإسلامية في حاجة إلى الرحمة والشفقة ونبع الحنان والعواطف النبيلة المتدفقة لمن تحجر قلبه وقسي وغلظت عواطفه فكانت هذه الآية الكريمة السابقة التي نزلت من عند الله تعالي لكي تبين لهم سوء تصرف هؤلاء أيام الجاهلية قبل ظهور الإسلام.

رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بالخدم

كان الرسول صلي الله عليه وسلم يهتم بأمر الضعفاء والخدم وكان يأمر برفع الظلم عنهم وإعطائهم حقوقهم فكان يقول في شأنهم:

«هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإذا كلفتموهم فأعينوهم»

ومن مظاهر الرحمة بهم كذلك ما قاله صلي الله عليه وسلم:

«إذا جاء خادم أحدكم بطعامه فليقعده معه أو ليناوله منه فإنه هو الذي ولي حره ودخانه»

(رواه ابن ماجة وأصله مسلم)

وعن أنس رضي الله عنه قال:

خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أُف قط وما قال لي شيء صنعته لما صنعت هذا ولا شيء لم أصنعه لم لَمَ تصنع هذا.

(رواه الترمذي وأبو داوود)

وكان صلي الله عليه وسلم يأمر بعدم المساس بكرامة أي أحد من الخدم لكونه أجيرا وكان يأمر بحسن معاملتهم بسد جوعهم وستر عورتهم والحث على إطعامهم وعدم مسهم بسوء أو مكروه فلا يُحتقرون ولا يُزدرون.

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يأمر بإعطاء الخادم أو الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وكان يأمر بعدم إلزام الخادم مالا يلزم، أو تكليفه بما لا يطيق، وكان يأمر بصون كرامته، واحترام شخصيته.

وقال المصطفي صلي الله عليه وسلم:

«الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي»

فلم يكن يفرق في المعاملة بين غني أوفقير أو سيد من أعالي القوم أو خادم أو أجير.

رحمة الرسول بغير المسلمين وبأعدائه:

إن الرسول صلي الله عليه وسلم كان رحيما بالجميع، لا فرق بين مسلم وآخر يحمل عقيدة مختلفة فكان يعامل اليهود والنصارى معاملة كريمة إنسانية ويتسامح معهم ويلين لهم، وكان يخاطبهم بالمنطق والحجة ولا يفرض عليهم الإسلام بالقوة والجبروت ودخل عدد كبير منهم الإسلام لما شاهدوا ولمسوا أخلاق الرسول وإنسانيته ورحمته وشفقته عن قرب.

لما فتح الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم مكة ونصر الله الرسول وأصحابه بلا قتال وبلا سفك وإراقة دماء لقوة جيش الرسول وأصحابه، ولصلابتهم ولحكمتهم، فشعرت قريش بضعف موقفها وأعلن سيد قريش وزعيم أئمة الكفر «أبو سفيان بن حرب» وابن معاوية» أعلنوا إسلامهم ودخل الرسول مكة وطاف بالكعبة وأمر بإزالة الأصنام، وظن أهل قريش اللذين آذوا الرسول من قبل وأخرجوه من قبل من مكة وصادروا ممتلكات المسلمين وعذبوهم ظنوا أن الرسول سوف يشفي غليله فيهم وأنه سوف يجمعهم ليفتك بهم ويبيدهم وخاف من خاف، وملأ الرعب نفوسهم وقال لهم: ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال لهم المصطفي صلي الله عليه وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء (أي أطلق سراحهم وعفا عنهم) جميعا ولم يأمر بمحاكتهم لما فعلوه من قبل مع الرسول وقومه.

هذا درس عظيم لكل من سولت له نفسه، أو تسول له أن يتهم الرسول بأنه نشر الإسلام بالسيف والقوة والإرهاب وسفك الدماء.

لقد مكث الرسول بمكة دخل في دين الله الإسلام أفواجا كثيرة من المشركين.

ويقول الله تعالي في هذه المناسبة الكريمة : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [سورة النصر: ١-٣]

ونحن نذكر جميعا قبل فتح مكة وهجرة الرسول وأصحابه من مكة إلى المدينة وكان بها الكثير من اليهود والنصارى فعرض عليهم الإسلام فقبل من قبل ورفض من رفض فلم يحزن الرسول ولم يمارس إرهابا ولا ضغوطا على أحد ولا إجبار ولا جبروتا، وحتى لم يطردهم من المدينة ولكنه ساوي بينهم في جميع معاملاته الإسلامية ساوي بينهم وبين المسلمين من المهاجرين اللذين هاجروا معه من مكة، والانصار اللذين هم ممن أهل المدينة ونصروه بعد أن أقبل عليهم وكانوا يدفعون الجزية (الضرائب) التي فرضت عليهم تماما قبل الزكاة التي فرضت علي المسلمين.

وهكذا ضرب لنا المصطفي عليه الصلاة والسلام أعظم الأسوة في أهمية كسب القلوب وضمها إلي حَنفهِ واستغلال الأحوال المختلفة في كل موقف من المواقف وكل زمن من الأزمنة لفتح الأبواب المغلقة في قلوب الجميع من الملل الأخرى لدعوتهم إلى الهداية والهدي والحق في دين السماحة والرحمة.

لقد عُرف الرسول صلي الله عليه وسلم بالنبل والعظمة والعفو عند المقدرة والصفح عمن بالغوا في إزائه، وإعطاء من حرمه، ووصل من قطعه، وهذا هو المثل الاسمي الذي امتاز به الرسول النبيل صلوات الله عليه وسلم.

لقد ذهب الرسول صلي الله عليه وسلم مرة إلى الطائف يرجو الحماية مما سخر به من رؤساؤها ومما سببه السفهاء منها، فأرسلوا السوقة لرميه بالحجارة، فجلس ليستريح لكنهم أجبروه فالتجأ إلى بستان عتبة بن ربيعة، فلما هدأت نفسه قال:» اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الرحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يستقبلني بوجه كريه؟ أم إلي عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هيا أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك»

أي خلق كريم هذا يا رسول الله وأنت الرسول فلم تغضب ولم تتوعد ولم تسخط، لكنه القلب الكبير المفعم بالرحمة والإنسانية هو الذي قبل هذا الأذى وصبر عليه حتى نصره الله وأعزه على القوم الكافرين.

إن الرسول صلي الله عليه وسلم بنبل خلقه وبالصبر والإيمان بالله والقوة الروحانية وقوة العقيدة والإيمان بالله الذي لم يتزعزع لحظه واحدة، ولم يهتز طوال فترة حياته والشجاعة التي واجه بها أعدائه واعتماده علي الله فانتصر على أعدائه وفتح مكة فتحاً مبيناً.

وحدث أن أراد صفوان بن أمية-وهو أشد أعداء الرسول صلي الله عليه وسلم أن يهرب إلى جدة ليبحر إلى اليمن فأتى عمير بن ذهب لرسول الله فقال: «يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هارباً منك ليقذف بنفسه في البحر فَأَمِنه».

فقال الرسول صلي الله عليه وسلم: هو آمن. قال: يا رسول الله أعطني آية(علامة) يعرف بها أَمَانِك، فأعطاه الرسول عمامته التي دخل بها مكة، وكان صفوان يعرفها ويميزها.

فخرج بها عمير حتى أدركه وهو ذاهب لركوب البحر.

فقال عمير: يا صفوان فداك أبي وأمي أتريد أن تهلك نفسك فهذا أمان الرسول قد جئتك به.

فقال صفوان: إني أخافه على نفسي. قال عمير: هو أكثر حلما من ذاك وأكرم. فرجع عمير ومعه صفوان حتى وقف به عند رسول الله صلي الله عليه سلم فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أعطيتني الأمان على نفسي. قال المصطفي رسول الله: صدق

قال صفوان: فاجعلني فيه بالخيار شهرين

(أي خيره الرسول بين الشرك والإسلام)

فقال له الرسول الكريم: أنت بالخيار أربعة أشهر.

فالرسول قد عفا عن عدوه اللدود وأرسل إليه عمامته كي يطمئن إليه وبدلا من أن يجعل له شهرين للخيار بين الشرك والإسلام جعل له أربعة أشهر مع أن الرسول في موقف القوة والسيطرة فلم يستخدم هذا الموقف لصالحه ليقتله أو ينال منه أو يرهبه ليدخل الإسلام عنوة (أي بالإجبار) ولكنه أعطاه الأمان لفترة طويله يختار فيها ما يختار وهذا المثل الأعلى في النبل والحلم والعظمة الخلقية والرحمة والتسامح نهديه إلى كل من يتهم الرسول بأنه نسر الإسلام بالسيف والإرهاب وروج كلام الحاقدين والملاحدة.

(**الملاحدة**: اللذين لا يؤمنون بأي ديانة سماوية)

معاملته لقاتل عمه حمزة

وممن أبي الرسول صلي الله عليه وسلم وعادي المسلمين عبد أسود وضيع دنيء لا قيمة له يدعي «وحشيا» وهو الذي قتل بحربته «حمزة بن عبد المطلب» عم الرسول صلي الله عليه وسلم الذي كان يعين الرسول ويقف بجانبه في مواقف كثيرة وكان الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم يعتمد عليه في أمورا كثيرة.

وبعد فتح مكة والطائف وانتصار الرسول وقومه وأتباعه استدعي الرسول قاتل عمه وقال له: «أوحشي أنت (لكي يتأكد من أنه قاتل)

قال: نعم يا رسول الله

قال الرسول: عليه الصلاة والسلام: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟

قال وحشي: فحدثه فلما فرغ من حديثه قال له النبي: ويحك أغرب عن وجهي.

فذهب دون أن يؤذيه الرسول أو يأمر بأي شيء ضده وعفا عنه وكان في استطاعة النبي صلي الله عليه وسلم أن يأمر بقتله وكل ما فعله الرسول أن قال له أغرب عن وجهي حتى لا ينظر الرسول إلى وجهه علما بأن قاتل عمه قد مثل بجثة عمه وقتله وأخرج أحشاءَه.

يا الله كيف يضرب لنا النبي المثل الأعلى في الرحمة والصفح والتسامح ولين الجانب واختفاء جانب التشفي والانتقام من قاتل عمه حمزة.

وطلب إل الرسول أحد أصحابه أن يدعو على المشركين الظالمين فقال:

اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

إن حُسن الخلق ولين الجانب وطيب العشرة صفات أجمع العقلاء علي حسنها وفضل التخلق بها وتوافرت الأدلة الشرعية على مدح الأخلاق الحسنة والحض عليها، من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي

صلي الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقا». (رواه البخاري)

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أحسن الناس سمتا وأكملهم خاقا وأطيبهم عشرة.

فما من خصلة من خصال الخير إلا ورسول الله صلي الله عليه وسلم أوفر الحظ والنصيب من التخلق بها وقد وصف الصحابة حسن خلق النبي في أحاديث كثيرة فعن علي بن أبي طالب قال: «كان رسول الله أوسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة (العريكة هيا الطبع) (رواه الترمذي)

معاملة الرسول لمن كان يفكر في قتله:

كان رسول الله المصطفي صلي الله عليه وسلم يطوف بالبيت الحرام في مكة فتربص به «فضالة بن عمير» يريد قتل النبي وكان يخبأ سلاحه في جنبه فلما دنا النبي منه قال له: أفضاله: قال نعم فضالة يا رسول الله.

قال الرسول: ما كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء كنت أذكر الله عز وجل.

فضحك النبي صلي الله عليه وسلم وقال له: استغفر الله ووضع النبي يده علي صدر فضالة فسكن قلبه بعد أن كان يملئه الرعب.

فكان فضالة يقول:

والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خَلق الله شيء أحب إلى من رسول الله صلي الله عليه وسلم.

سبحان الله القلب العدو غلي حبيب بنعمة وفضل من الله حتى نجي الرسول من القتل.

حكمة الله عز وجل أن ينجي الرسول من التهلكة حتى يستمر جهاد الرسول الكريم في نشر الدعوة الإسلامية.

ويحكي عن الرسول الكريم أنه كان يجلس بجوار شجرة فخرج من ورائها أحد المشركين ومعه سيف وصاح في الرسول:

من ينجيك مني يا محمد؟

فقال الرسول المصطفي: الله

فاهتز السيف في يد المشرك وملأ الرعب قلبه من رباطة جأش الرسول الكريم وسقط السيف من يده فتناوله النبي الكريم بسرعة وقال له:

من ينجيك مني الأن أيها الوثني؟

فقال المشرك: عفوك يا نبي الله محمد

فعفا عنه الرسول وكان سببا في دخوله الإسلام وانضم هذا الرجل إلى رجال المصطفي صلوات الله عليه وسلم.

وكان أبو سفيان بن حارث بن عبد المطلب ممن اشتركوا في إيذاء الرسول صلي الله عليه وسلم ومعاداته وسبه وقد طلب الإذن عليه فقال الرسول: لا حاجة لي به وقد هتك. عرضي وكان مع أبي سفيان ابن له فقال: والله ليأذن لي أو لآخذن بيد أبني هذا لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا.

فلما بلغ الرسول ذلك رق له قلبه وطلبه فدخل عليه أبي سفيان وابنه فعفا عنه الرسول الكريم.

وحادثة أخري نسوقها هنا لرحمة الرسول وحسن معاملته لأعدائه وهو كعب بن زهير الذي أهدر دمه الرسول صلي الله عليه وسلم فلما جاء إلي الرسول تائبا وثب إليه رجلا من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال له محمد صلي الله عليه وسلم: دعه عنك فإنه قد جاء تائبا وعفي الله عنه.

بل إن طاعة الرسول صلي الله عليه وسلم جعلها الله تعالي سببا لرحمة عباده قال الله تعالي: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٧١]

وما دمنا مع ذكر الرحمة التي هي الصفة الأولي في أخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم وهي أيضا صفة عظيمة من

صفات الله عز وجل حيث ذكرت في عدة مواضع من كتاب الله العظيم وقد وردت هذه الصفة في عدة سور منها: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الانعام: ١٢]

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحديد:١٣]

أي أن صفة الرحمة هي صفة إلهيه في حد ذاتها إذ اتصف بها الله عز وجل فهو خالق البشر أجمعين وإن لم يرحمهم أو يدخلهم في رحمته فمن يرحمهم غير الله تعالي العلي القدير.

ومن رحمة الله عز وجل أن أعطي هذه الصفة العظيمة لعباده من البشر لكي يرحموا بعضهم البعض حتى إذا سادت هذه الصفة القديرة بين عباده لقلت الجرائم أو قد ستنعدم نهائيا ونري أنفسنا نعيش في كنف مجتمع مثالي يحوطه الأمان ويغلفه السلام الذي هو مطلب الإنسانية جمعاء.

ولقد أودع الله صفة الرحمة وجعلها في قمة درجاتها في قلب رسوله الكريم محمد صلي الله عليه وسلم وأوردنا العشرات من الأمثلة والقصص لتجلي هذه الصفة القديرة في أخلاق

المصطفي وبينا أنه بهذه الصفة قد دخل في دين الله أفواجا الأعداد الغفيرة من كافة الاجناس.

ولكي نتابع صفة الرحمة وذكرها في كتاب الله الكريم نذكر صفة الرحمن التي هي مشتقة من صفة (الرحمة) ولقد ذكرت في مواضع كثيرة في (٤٥) أية من كتاب الله الكريم نذكر منها:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١]

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة :٣]

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الاسراء:١١٠]

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم:٤٥]

والرفق بالإنسان وهي صفة توازي الرحمة وتشتق منها كانت من صفات الرسول صلي الله عليه وسلم ومن أقوال المصطفي محمد الرسول الكريم: «مَن يُحرمُ الرفق يُحرم الخير كله»

أي أن الخير كله يتواجد في صفة الرفق والرفق هو الرحمة والشفقة بالإنسان والحيوان وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم فقال الرسول الكريم: نعم. قالوا لكنا والله ما نقبل صغارنا فقال نبينا المصطفي: أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة.

وقال صلي الله عليه وسلم:

(من لا يرحم لا يرحم)

وعن عائشة رضي الله عنها-أيضا قالت: جاءتني مسكينه تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاثة تمرات فأعطت كل واحدة منها تمرة ورفعت إلي فمها التمرة الثالثة فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شئنها، فذكرت الذي صنعته هذه السيدة أمام الرسول الكريم فقال: «إن الله قد أوجب لها الجنة وأعتقها من النار»

وكلمة الرحيم أيضا من صفات الله عز وجل وقد وردت في (٣٤) أيه وهي مشتقه من كلمة الرحمة ونورد هنا بعض الآيات التي ذكرت فيها كلمة الرحيم كما يلي:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة:١٠٤]

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يونس:١٠٧]

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الحجر:٤٩]

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يوسف:٩٨]

ولعظم خلق الرحمة عند الله تعالي يخاطب الإنسان في إحدى آياته الكريمة ويأمره بمعاملة الأب والأم بالرفق والشفقة والرحمة ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الاسراء: ٢٤]

فالله تعالي يرسى دعائم تكوين الاسرة المتحابة الأسرة المتماسكة التي تكون اللبنة الأولي في بناء المجتمع الإسلامي ويجعل الإنسان يتواضع ويُذل إلى من رباه وتعبا في تنشئته حتى يصل إلى درجة عظيمة من الرحمة للوالدين اللذان هما الدعامتان العظيمتان لكيان الأسرة.

رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بالجمادات:

لم تقتصر رحمة الرسول صلي الله عليه وسلم بالإنسان والحيوان ولكنها تعدت ذلك إلى الرحمة بالجمادات، وقد روت

لنا كتب السير حادثة عجيبة تدل على شفقة ورحمة الرسول الكريم بالجمادات

(الجماد= الشيء الصلب الجامد الذي لا روح فيه)

حادثة حنين الجذع: -

لما شق علي النبي طول القيام حينما كان يخطب في الناس في المسجد النبوي استند إلى جذع وكان يتكئ عليه إذا خطب الناس ولما صنع له منبر يخطب عليه فتحول إليه وترك ذلك الجذع فحن الجذع إلي النبي صلي الله عليه وسلم حتى سمع الصحابة فيه صوتا كصوت البعير فأسرع إليه النبي الكريم واحتضنه حتى سكن ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم:

لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة. (رواه أحمد)

هذه القصة العجيبة التي ذكرت وهي لغرابتها لا تتعجب منها لأنني تعجبت مثلك حينما قرأتها وأخذت أبحث وأنقب عن صحة هذه الرواية فتوصلت إلى ما يلي: -

- هناك آيات قرآنيه من عند الله تعالي تذكر أن الجماد له إحساس وتصرف مثل الكائنات الحية كالإنسان والحيوان كما يلي:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢١]

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]

- رأينا من هذه الآيات الكريمة أن الجبل يخشع ويبتهل من خشية الله عز وجل وكذا الحجارة تتفجر منه الأنهار وتهبط خوفا وخشية الله عز وجل وقد قرأت في بعض الصحف أن بعض علماء الزراعة أقروا بأن بعض المحاصيل والنباتات تنمو ويزيد إنتاجها ونموها بتشغيل الآلات الموسيقية يا سبحان الله وله في خلقه شئون.

- ونحن لا نذهب بعيدا فنحن نعرف كلنا أن زهرة «تباع الشمس» تتجه دائما منذ الصباح الباكر حتى غروب الشمس في حركة متوالية مع اتجاه الشمس وأشعتها ولذا أطلق عليه «تباع الشمس»

- لقد أوردت آيات القرآن الكريم لأنني أعلم جيدا أن كتاب الله الكريم ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٢٤]

- ومن هذا التحليل الدقيق لإحساس الجمادات التي نظنها أنها ساكنه جامدة تصبح حادثة حنين الجذع في مسجد الرسول للرسول الكريم قصة حقيقية لا يمكن إغفالها وتتسم مع المنطق الذي أوردناه.

- إن معظم العلوم والحقائق لم نكن نعرفها من قبل ومعظم الاكتشافات العلمية التي نسمع عنها ونراها الآن كانت لأجدادنا خيالا وضربا من أشد الغرائب. وكل يوم سوف يأتي جديد وسوف نسمع ما تخلب له الألباب وتحتار فيه العقول.

خلق التسامح عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

إن خلق التسامح عند رسول الله أشتق من خلق الرحمة عنده لأن التسامح لا يصدر إلا من النفس الرحيمة التي تحن وتشفق وتحسن إلي الغير، فعلي الرغم من تعدد أشكال الأذى الذي ذاقه الرسول الكريم وأصحابه من الكفار في بداية دعوته في مكة إلا أنه قد ضرب المثل الأعلى في التعامل معهم ونسي الإساءة وعدم التشفي فيهم فانضموا لصفه واتبعوه وقبلوا دعوته لما وجدوا فيه من أخلاق فاضلة كريمة وليس أدل علي ذلك من قصته إسلام الصحابي الجليل ثمامة بن أثال عندما أسره المسلمون وأتوا به إلي النبي صلي الله عليه وسلم فربطوه بسارية من سواري المسجد ومكث علي تلك الحال ثلاثة أيام وهو يري المجتمع المسلم عن قرب فرأي كيف يعامل المسلمون الأسري وكيف يكلمه الرسول ويتبسط إليه ويدخل له الطعام والشراب ويعامله معاملة كريمة هذه المعاملة التي تصبح درسا ليتعلم منه جبابرة هذا الزمن في معاملة الأسري وفي تطبيق المعاهدات الدولية.

لقد دخل الإيمان قلب الأسير ثمامة ثم أمر النبي صلي الله عليه وسلم بإطلاق سراحه فانطلق إلى مكان قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه غلي، وما كان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي.

وسرعان ما تغير حال ثمامة فانطلق إلي قريش يهد بها بقطع طريق تجارتهم وصار درعا يدافع عن الإسلام والمسلمين.

رأينا كيف أن خلق الرحمة والتسامح يحول العدو إلي صديق والكافر إلي مسلم فهل نتخذ من أخلاق الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم قدوة نقتدي بها ونفعل مثلها .... لو فعلنا ذلك لتغير حالنا إلي أحسن حال ولأصبحنا في مقدمة وطليعة الأمم كما كان أسلافنا الأوائل.

وكتبنا من قبل يوم فتح مكة وكيف نصر الله تعالي محمدا،لنها الرسول الكريم صراحة واضحة (اليوم يوم الرحمة) وأصدر عفوه العام عن قريش التي لم تدخر وسعا في إلحاق الأذى بالمسلمين، فقابل الإساءة بالإحسان والأذى بحسن المعاملة والتسامح فهو رحمة وسيرته رحمة وخلقه رحمة وصدق الله تعالي حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]

واستعرضنا لما كتبناه في خلق الرحمة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنها قصص وأمثلة وروايات تصلح لان تكون من توابع الرحمة ومن مظاهرها وهو خلق التسامح عند النبي صلي الله عليه وسلم:

١. تسامح الرسول مع اليهود والنصارى بعد هجرته إلى المدينة وعدم الإساءة إليهم ومعاملتهم معاملة كريمة مقابل الالتزام بقوانين المجتمع الإسلامي الجديد

٢. تسامح الرسول مع صفوان بن أمية وهو من أشد أعداء الرسول الكريم

٣. تسامح الرسول وعفوه عن قاتل عمه حمزة بن عبد المطلب

٤. تسامح الرسول لمن كان يفكر في قتله حينما كان يطوف بالبيت الحرام في مكة « وهو فضالة بن عمير»

٥. تسامح الرسول مع سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن اشترك في إزاء الرسول ومعاداته وسبه

٦. تسامح الرسول مع كعب بن زهير الذي أهدر دمه رسول الله وأتي إلي الرسول تائبا.

وهناك العشرات من القصص التي تزخر بها المكتبة الإسلامية عن عفو الرسول وسماحته وإحسانه وتسامحه مع المسلم وغير المسلم يمكن أن تصبح كتابا خاصا بهذا الخلق الكريم الذي ساعده في إرساء قواعد الدولة الإسلامية.

خلق الإحسان عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

وخلق الإحسان ينبثق ويندرج من خاق الرحمة وهو خلق فاضل وجزء من عقيدة المسلم لأن الله قد أمر بالإحسان ونورد فيما يلي ما قاله الله تعالي عز وجل عن الإحسان إلى الغير في كتابه الكريم: إذ قال: ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٥]

وقال تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل :٩٠]

وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة:٨٣]

ولما سُئلت السيدة عائشة عن أخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم قالت: كان محمد خلقه القرآن لأنه كان المثل الأعلى لكل المسلمين في تطبيق شريعة الله والعمل بكل ما ورد في القرآن الكريم ولما كان خلق الإحسان قد تصدر بعض آيات الله العظيمة فكان أول المسلمين يطبقها ويعمل بها.

كان الرسول صلي الله عليه وسلم يحسن إلى الفقراء والمساكين والضعفاء والأرامل وكان يحسن إلى الخدم وكان يحسن إلى من خالفه في دينه من اليهود والنصارى وكان يحسن ويتسامح مع الأعداء ومع الأصدقاء وكان يحسن لأهل بيته وزوجاته وأولاده وأقربائه، ولا عجب أن يحبه كل من رآه أو تعامل معه أو دخل في دين الإسلام ليشهد بنفسه كيف كان يعامله

المصطفي صلي الله عليه وسلم ولكن ما هو خلق الإحسان وكيف يمكن تطبيقه في الحياة العملية والمعاملات بيننا؟

الإحسان في باب العبادات:

أن تؤدي العبادات كلها الصلاة والصيام والزكاة والحج باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها ومراقبة الله عز وجل بصورة كاملة في كل عمل تعمله وكل تصرف يصدر منك، ولنا في رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة في ذلك.

وقال الرسول صلي الله عليه وسلم:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وأما الإحسان في باب المعاملات فهو بر الوالدين وطاعتهما وإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما والدعاء والاستغفار لهما.

وهو للأقارب برهم ورحمتهم وصلتهم بالزيارة الدورية المستمرة والسؤال عنهم والعطف عليهم وفعل الغير معهم وترك ما يسيء إليهم وخير قدوة لنا ما ذكره الله تعالي لتوضيح علاقة الإنسان بوالديه وأقاربه ما ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [سورة النساء:٣٦]

والإحسان لليتامى بالمحافظة على أموالهم وصيانة حقوقهم وتأديبهم وتربيتهم وترك أذاهم وعدم قهرهم.

وهو للمساكين: بسد جوعهم وستر عورتهم والحث على إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقرون ولا يزدرون ولا ينالون بسوء أو يمسون بمكروه.

وهو للخادم: بإعطائه أجره قبل أن يجف عرقه وبعدم إلزامه ما لا يلزم أو تكليفه بما لا يطيق وبصون كرامته واحترام شخصيته وإن كان من خدم المنزل بإطعامه مما يُطعم أهله وكسوته مما يلبسون

والإحسان لعموم الناس:

بالتلطف في القول لهم ومجاملتهم في المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وبإرشادهم وتوجيه ضالهم وتعليم جاهلهم وبإنصافهم من النفس وبالاعتراف بحقوقهم وبكف الأذى عنهم وعدم ارتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم.

والإحسان للحيوان:

بإطعامه إن جاع ومداواته إذا مرض وعدم تكليفه ما لا يطيق والرفق به وإراحته إذا تعب.

والإحسان في الأعمال البدنية:

بإجادة العمل وإتقان الصنعه والامتناع عن الغش عملا بقول الرسول صلي الله عليه وسلم

«من غشنا فليس منا»

هذه المعاملات كلها كانت عي أفعال الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم فالأحرى أن نتخذه قدوة لنا ومثلا أعلي ومنهاجا نسير عليه في كل أفعالنا.

وقبل الرسالة التي وكل الله خاتم المرسلين بها اشتري صلي الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها زيد بن حارثة وهو غلام صغير وحرره وعامله معاملة كلها إنسانية وأحسن إليه وكان يتسامح معه كثيرا كأنه ابن له وقد حضر أبوه حارثة ذات يوم ليأخذه فرفض زيد أن يذهب مع أبيه وفضل أن يستمر مع محمد صلي الله عليه وسلم الذي تبناه.

علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

وتسامح الرسول معهم:

جعل الله الإيمان بالرسل السابقين وكتبهم جزء من الإيمان برسالة نبينا صلي الله عليه وسلم نحن نؤمن بكل نبي أرسله الله وبكل كتاب أرسله من السماء كما أمرنا الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]

وما دمنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فإن الإيمان يفرض علينا أن ننزل رسل الله من أنفسنا منزلة الإكبار والإجلال فلا نشكك في أحد منهم ولا نذكره بسوء وفي نفس الوقت لا نسمح لأحد أن يشكك فيهم أو يذكرهم بسوء، لأن الإيمان لا يتجزأ ولا يكون إيمانا كاملا إلا إذا كنا مؤمنين بكل ما أمر الله أن نؤمن به.

ونحن من هذا المنبر نطلب أيضا بالمثل أن تعاملنا الديانات الأخرى مثل اليهودية والمسيحية بالإيمان برسولنا محمد صلي الله عليه وسلم وبكتابه الكريم القرآن الكريم لأن رسولنا المصطفي صلوات الله عليه وسلم قد ورد ذكره عندهم في التوراة والإنجيل ولنرفع شعار الحب والتسامح والرحمة والإحسان بين جميع الأديان السماوية.

رأينا في مواضع كثيرة ذكرناها هنا أن الرسول صلوات الله عليه وسلم كان يتعامل مع اليهود والنصارى ويعطي لهم كل حقوقهم ولا يفرض عليهم دين الإسلام بالضغط والإرهاب وكان يتسامح معهم ويحسن لهم ويعفوا عن الكثير من إساءاتهم وتزوج منهم ليرينا كيف نتعلم أن نحب غيرنا من الملل الأخرى ويعطي درسا في الديموقراطية والإنسانية مع كل البشر.

وذكر عبد الله بن جرير رضي الله عنه معاملة النبي صلي الله عليه وسلم له فقال:

(فأحبني رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال: اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا).

الخلق الكريم وإيثار الغير على الذات

عند الرسول صلي الله عليه وسلم:

لم يكن الرسول الكريم يفكر في نفسه أو إرضاء نفسه بقدر ما يفكر في غيره وإرضاء من حوله. هذا خلق الأنبياء اللذين اصطفاهم الله من عبادة وعصمهم من الخطأ لأنهم القدوة الحسنة والمثل الأعظم في معاملة البشر.

في أثناء الهجرة إلى المدينة مر المصطفي ومن معه بخيمة (أم معبد الخزاعية) وكانت عربية كريمة الخلق معروفة بالعفة والكرم فسألها الركب عن تمر أو لحم يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك، فقد كانت سنة من سنوات القحط والجوع. (القحط= قلة ما تجود به الأرض)

فقالت لهم: والله لو كان عندنا شيء ما أمنعه عنكم، فنظر رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى شاة في ركن الخيمة وقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟

قالت: هذه شاه خلفها التعب عن الغنم.

فقال لها النبي: هل بها من لبن؟

فقالت: «لا يحلب منها لبن إلا القليل» فقال: أتأذنين أن أحلبها؟ قالت: نعم. فدعا الرسول الشاه وأمسك بها وسح ضرعها وقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم» اللهم بارك في شأنها فامتلأ ضرع الشاه، ودر لبنها فدعا بإناء كبير لها فحلب فيه حتى ملأه فسقي أولا أم معبد فشربت حتى رويت وسقي أصحابه حتى رووا وشرب صلي الله عليه وسلم آخرهم وقال:

« ساقي القوم آخرهم».

والرسول هنا خير قدوة يقتدي بها، سقي السيدة أولا ثم سقي بقية الرجال وكان يمكن ألا يتبقى أي شيء من اللبن له فسيكون راضيا كل الرضا.

ونعود ونكمل قصة السيدة «أم معبد» حيث كان اللبن كافيا فشربوا جميعا أكثر من مرة.

ثم حلب في الإناء مرة ثانية حتى مليء ثم تركه عندها وارتحل الرسول وأصحابه عنها ثم جاء زوجها فرأي اللبن فتعجب وقال لزوجته:

من أين لكم كل هذا اللبن ولا حلوبة في البيت؟

قالت أم معبد: لا والله إنه مر بنا رجل مبارك وذكرت ما حدث من القصة. فقال أبو معبد: والله إني لأراه صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ولو كنت وافقته يا أم معبد لتلمست أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلا ولو رأيته لاتبعته.

المغزى من هذه الرواية واضح، الرسول لا يفكر في نفسه مطلقا، يرضي أم معبد أولا ثم يرضي رجاله ثانيا ثم يأخذ لنفسه أخيرا، فأرضي الله تعالي بخلقه ثم أرضي الناس كلهم بأفعاله فأحبوه وأجلوه ورفعوه مكانة عالية في أنفسهم.

العدل عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

العدل خلق كريم وصفة عظيمة جليلة محببة إلى النفوس تبعث الأمل إلى المظلومين ويحسب لها الظالمون ألف حساب فبالعدل تؤدي الحقوق إلى أصحابها وتعود الأمور إلي نصابها وبالعدل يسعد الناس وتملأ الطمأنينة القلوب وتهدأ النفوس، وبالظلم يسود الأمة الفوضى ويزداد الإحساس بالقهر فتملأ الكراهية النفوس، وما وجد العدل في قوم إلا سعدوا وما وجد الظلم في قوم إلا شقوا.

العدل خلق العظماء وصفة الأنبياء وأدب الصالحين وطريق الفلاح للمؤمنين في الدنيا ويوم الدين تجلي به الأنبياء والصالحون والقادة والمربون ، وكان أعظمهم في ذلك وأكثرهم قدرا ونصيبا خاتم المرسلين محمد صلي الله عليه وسلم فالعدل

خلق من أخلاقه، ضمن شمائله العظيمة وصفاته الجليلة عدل في تعامله مع ربه عز وجل وعدل في تعامله مع نفسه وعدل في تعامله مع الآخرين من قريب أو من بعيد ومن صاحب أو صديق ومن موافق أو مخالف حتي العدو المكابر له نصيب من عدل الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم وكيف لا يعدل المصطفي وقد خاطبه الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة:٨]

إن العدل كان الصفة السائدة في أخلاق الرسول الكريم ومن يعدل إذا لم يعدل الرسول في زمنه، لم ينشغل صلي الله عليه وسلم بالدولة وقيادتها والغزوات وكثرتها عن ممارسة العدل في نطاق أسرته الكريمة وبين زوجاته وأمهات المؤمنين فكان يقسم بين نسائه ويبيت ليلة عند كل منهن وكان يقول إليهن: «هذه قسمتي فيما أملك فلا تلومنني فيما لا أملك» (رواه الترمذي).

والرسول يقصد فيما لا يملك وهو الحب والمودة القلبية التي بين الأزواج وأن حبه لكل واحدة من زوجاته يختلف من واحدة لأخري وهو لا يملك من هذا شيئا.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج إلي سفر (أقرع) بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها (رواه البخاري وسلم).

والمعني أن الرسول كان يجري القرعة باستعمال الأسهم بين زوجاته لمن سوف تخرج معه في السفر ومن يخرج سهمها في القرعة تسافر معه.

فالعدل يلازم الرسول في حله وترحاله فهو يكره التميز على أصحابه فهو يحب العدل والمساواة وتحمل المشاق والمتاعب مثلهم. فعن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير وكان أبو لبابة وعلى ابن أبي طالب زميلي رسول الله الكريم وكان المفروض أن يركب الجمل فردان فقط ويجر الجمل الفرد الثالث وجاء دور النبي في جر الناقة فقالا زميلي الرسول: عنك يا رسول الله نمشي نحن بدلا منك ونجر الناقة. فرفض الرسول الكريم وأصر على أن يفعل مثلهما.

(رواه أحمد في سنده)

الرسول صلي الله عليه وسلم رفض أن يميز نفسه عن غيره من أصحابه وأبي أن يعامل معاملة خاصة ولكنه أصر على ان يفعل مثلهم.

إنه العدل الذي يميز المصطفي صلي الله عليه وسلم وكان يتمسك به في كل موقف وكل فعل من أفعاله.

وكان صلي الله عليه وسلم لا يرضي تعطيل حدود الله التي شرعها سبحانه وتعالي لإقامة العدل بين الناس حتى لو كان الجاني من أهل بيته أو من أقربائه ففي إحدى آيات الله القرآنية حدد الله عقوبة السارق بقطع يده التي سرقت حتى تكون عبرة لغيرة وكانت هذه العقوبة رادعة لكل من تسول له نفسه أن يمد يده ويسرق حاجة غيره.

وقد قلت السرقات أيام الرسول صلي الله عليه وسلم إلى حد أنها تقلصت أو قل إنها أوشكت على الاختفاء بسبب صرامة الرسول في تطبيق حدود وشرع الله تعالي.

ففي حادثة المرأة المخزومية التي سرقت أيام الرسول وحاول أسامة أن يتشفع لها عند الرسول محمد صلي الله عليه وسلم لكيلا يقيم عليها الحد أو العقوبة أو يستثنيها الرسول الكريم من قطع يدها فلم يرضي الرسول بشفاعة أسامة وقال مقولته المشهورة» أيها الناس قد أهلك الله الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه وإذا سرق منهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (رواه البخاري)

عدلت يا رسول الله النبي كان صادقا في تنفيذ العقوبة لا يعفي غنيا أو فقيرا منها إذا سرق كما فعل القدامى فكان إذا

سرق منهم الأشراف أو سيدي القوم خافوا من تنفيذ الحد عليهم وغذا سرق الفقراء الضعفاء أقاموا عليهم الحد حتى أن النبي أمر بإقامة شريعة الله حتى لو كانت ابنته فاطمة هي السارقة.

لقد أرسي الرسول محمد صلي الله عليه وسلم في الدولة الإسلامية شريعة العدل بين الناس فالناس عنده سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوي.

وفي قضائه بين المتخاصمين كان الرسول عادلا لم يعرف عنه أنه ظلم أحد أو اشتكى أحد من حكمه فعن صرام بن محيض عن أبيه قال: أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته فقضي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي أهل الأموال بحفظها بالنهار وعلي أهل المواشي حفظها بالليل. (رواه أحمد)

ونسوق القصة التالية التي حدثت في الدولة الإسلامية في عهد المصطفي صلي الله عليه وسلم فقد وضع النبي الكريم الحجر الأسود في موضعه في بناء الكعبة الشريفة وحين اختصمت قريش فيه فقد أرادت كل قبيلة من قبائل قريش أن ترفع الحجر غلي موضعه وتنازعت القبائل الأربع على وضعه.

استمر النزاع خمس ليالي واستعدوا للقتال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وتشاوروا فيما بينهم وقال أبو أمية بن فقيرة

المخزومي (عم خالد بن الوليد) وكان أكبرهم سنا فأقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما رأوه مقبلا قال رضينا بحكم محمد بن عبد الله وكانت قريش تسميه الصادق الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي وكانوا يتحاكمون إليه في الجاهلية كلما استعصي عليهم أمر من الأمور فقد عُرف الرسول بالدفاع عن الحق والتمسك به فأخبروه فحكم بينهم أن يجعلوا الحجر الأسود في ثوب ثم يرفعه رجل من كل قبيلة من القبائل الأربع وبسط النبي رداءه ثم وضع الحجر وسطه وقال: لتأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ورفعوه جميعا حتي بلغوا به موضعه فأخذه رسول الله ووضعه في موضعه بيده الشريفة وانتهي النزاع بينهم بفضل محمد اليتيم الصادق الأمين.

هذه الرواية ذكرت في كتب السيرة النبوية وهي رواية أكدها أكثر من كتاب ولكي نفيض قليلا في تحليل هذه القصة نورد ما يلي:

١. كان محمد صلي الله عليه وسلم أصغر الحاضرين سنا ولولاه لحدثت حرب طاحنة بين العرب، لأن البيت الحرام قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون إليها لهذا تناسوا في الفخر وتنازعوا على السيادة ولكنهم اطمئنوا ورضوا بمحمد حكما بينهم.

٢. تروي هذه القصة ويري الكثير أنها تدل على ذكاء الرسول وفطنته وحكمته وحسن تصرفه

٣. لكنني في رأيي الشخصي أن لها دلالة أخري في أنها يمكن أن تساق تحت خلق العدل عند رسول الله والمساواة بين الأفراد فلو حضر التحكيم مثلا شخصا غير الرسول لربما حاول أن يلجا إلي القرعة بين أسياد قريش لمن يحمل الحجر الأسود وكان يحمله لفرد واحد وربما حكم آخر أن يحمل الحجر أكثرهم سيادة أو أغني أو أرجحهم عقلا وخلقا، ولكن الرسول زيادة علي حكمته وحسن تصرفه أقول أن عدله غلب عليه وساوي وعَدَل بين أطراف النزاع المعروض عليه ولهذا رضوا بحكمه أما الحكم بسيادة أو بتفضيل أحد علي أحد أو الحكم بإجراء قرعه بينهم لا يجانبه الصواب الذي جانب حكم العدل بينهم الذي حكم به الرسول صلي الله عليه وسلم.

وللعدل مظاهر كثيرة يتجلى فيها كما يلي:

١. **العدل مع الله**: بألا يشرك معه في عبادته وصفاته غيره وأن يطاع فلا يعصي، ويذمر فلا ينسي، وشكر ولا يكفر به.

٢. **العدل في الحكم بين الناس**: بإعطاء كل ذي حق حقه وما يستحقه ولا يفرق بين فقير وغني أو بين سيد وبين عبد أو رجل وامرأة أو بين رئيس ومرؤوس.

٣. **العدل بين الزوجات والأولاد**: وخير مثل يساق هنا عدل الرسول الكريم بين زوجاته كما رأيناه من قبل وعدله بين أولاده فلا يفضل أحد على أحد ولا يؤثر بعضهم على بعض.

٤. **العدل في القول**: العدل في القول هو أن تقول الحق ولو على نفسك وأن تبتعد عن شهادة الزور أو الشهادة الكاذبة أو الشهادة التي يراد بها باطل لتدفن الحقيقة

٥. **العدل في المعتقد**: فلا يعتقد الانسان غير الحق والصدق ولا يثني الصدر علي غير ما هو الواقع والحقيقة وكان صلي الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالعدل في كل الأمور وعدم تغليب جانب على حساب الآخر وإنما الموازنة وإعطاء كل ذي حق حقه وقال الرسول المصطفي اعبد الله بن عمرو: «بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تغفل فإنك لجسدك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولزوجك عليك حقا»

وإذا بحثنا عن مظاهر العدل عند الرسول الكريم لوجدنا أنه خير ما يتصف بها وهو خير مثال أمامنا يطبق مجالات العدل التي عددناها هنا وخير ما يقتدي به والقصص المذكورة في كتب صحابة الرسول خير شاهد علي ذلك.

ومن الثمرات التي يجنيها المجتمع من إشاعة العدل بين أفراده هي سيادة الطمأنينة في النفوس وعيشة الأفراد في أمن وسلام والإحساس براحة البال.

وبهذا الخلق العظيم والمنهاج الرفيع في العدل بين الناس استطاع المصطفي صلي الله عليه وسلم أن يلفت الأنظار نحوه ويرسم منهاجا فريدا لخير أمه أُخرجت للناس تحمل العدل للناس أجمعين وتبدد به ظلمات القهر والظلم والطغيان.

خلق الصبر عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

من محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها: الصبر واحتمال الأذى والصبر هو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم فهو حبس النفس على ما تكره، فالمسلم يحبس نفسه على البلاء إذا نزل فلا يتركها تجزع أو تسخط لأن السخط على الأقدار معاتبة لله عز وجل وعدم الرضا والتسليم بما كتبه الله علينا.

ويجب أن يتذكر الإنسان أن أقدار الله جارية وأن قضائه عدل وأن حكمة نافذ صبر العبد أم جزع غير أنه مع الصبر الأجر والثواب عند الله في الدنيا والآخرة ومع الجزع والوزر وتحمل الذنب وغضب الله وعقابه أيضا في الدنيا والآخرة.

ولما كان الصبر من الأخلاق التي تكتسب وتنال بالمجاهدة وبنوع من الرياضة النفسية التي يتعودها الإنسان بالتدريج حتى يصل إلي أسمي درجات تحمل المكاره والصبر على البلاء وتقبل أرزاق الله والمسلم يستلهم الصبر والتحمل مما تحمله أخبار وصفات وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم باستدعاء الروايات التي ذكرت عن صبر المصطفي صلي الله عليه وسلم وقد ذكر الله الصبر في عدة مواضع من آيات الله الكريمة وعظم من أجر الصابر ووعد بأجره وثوابه كقوله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠]

وقوله ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة النحل: ١٢٧]

وقوله تعالي ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة:١٥٥-١٥٦]

وقوله ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان:١٧]

وقال تعالي أيضا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٦]

فمع كثرة ما أُوذي المصطفي صلي الله عليه وسلم كان صبورا كثير الحلم والاحتمال.

فحكي عن النبي الكريم أنه قَسَم مالا فقال أحد الأعراب: قسمة ما أريد بها وجه الله فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال: «يرحم الله أخي موسي لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر (رواه البخاري).

إن الحديث عن صبر الرسول عليه الصلاة والسلام وهو في حقيقة الأمور حديثه عن حياته كلها وعن سيرته بجميع تفاصيلها وأحداثها، فحياته كلها صبر وجهاد ومجاهدة فقد ظل صلوات الله عليه وسلم في عمل متواصل وجهد دؤوب وصبر لا ينقطع منذ أن نزلت عليه أول آية وحتى آخر لحظة في حياته.

من المواقف التي يتجلى فيها صبره وتحمله الأذى وسعة صدره ما تعرض له من أذى جسدي من قومه الكفار المشركين بالله أصابه هو وأهله وعشيرته وأصحابه وكان الأذى النفسي والشعور بالحزن والألم المتواصل الذي يحز في نفسه أكثر من الأذى والألم الجسدي كل ذلك كان يحدث في موطنه مكة.

ومن ذلك ما جاء عن البخاري أن عروة بن الزبير سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال: بينما النبي المصطفي صلوات الله عليه وسلامه يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن معيط فوضع ثوبه في عنق النبي فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر بسرعة وأخذ بمنكبه ودفع الرجل عن الرسول وقال: «أتقتلون رجلا يقول ربي الله».

ويحكي أن محمدا صلي الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه له جلوس فقال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسبلي جزور بني فلان فيضعه علي ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقي القوم فجاء به فانتظر حتى سجد محمد صلي الله عليه وسلم فوضعه على ظهره بين كتفيه فأخذوا يضحكون ويتمايلون بعضهم على بعض ورسول الله ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت ابنته فاطمة فطرحت على ظهره الأذى.

هذا عن الأذى الجسدي الذي تألم منه رسول الله صلي الله عليه وسلم فماذا عن الأذى النفسي الذي تحمله الرسول؟

لقد كذبه كفار أهل مكة ورفضوا دعوته ومرة اتهموه أنه كاهن ومرة اتهموه أنه ساحر ومره أنه مجنون وادعاء أن ما جاء به من آيات ماهي إلا أساطير الأولين ومن ذلك ما قاله أبو جهل مستهزئا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وآتنا بعذاب أليم».

فنزلت آيات الله الكريمة ترد على ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة الأنفال:٣٤]

وروي البخاري في صحيحه أن امرأة من المشركين جاءت إلي النبي صلي الله عليه وسلم وقالت له: يا محمد إني لأرجو الله أن يكون شيطانك قد تركك: لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [سورة الضحى ١:٣]

إذا كان الله تعالي لا ينسي عبده فكيف ينسي رسوله الكريم.

لقد ذكرنا في موضع سابق أن الألم سواء كان جسديا أو نفسيا يصنع الرجال ويخلق الرحمة في قلوبهم وفي نفوسهم وأن الصبر على تحمل هذا الألم يولد الخلق الكريم الطيب في الإنسان فيجعل الإنسان ينسي الإساءة ويحسن إلى الغير ويغفر لهم خطاياهم ويتسامح معهم.

وقد ذكرنا في موقع سابق أنه من أشد مواقف الأسي والكرب والحزن التي شعر بها صلي الله عليه وسلم بعد أن ضاقت عليه مكة فخرج إلي الطائف يطلب النصرة فقد روي البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلي الله عليه وسلم يوما فقالت: لقيت ما لقيت من قومك هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد(تقصد يوم غزوة أحد) فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «لقد لقيت ما لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة غذ عرضت نفسي علي بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجيبني إلي ما أردت فانطلقت وأنا مهموم علي وجهي فلم أقف إلا وأنا (بقرن ثعالب)=مكان بالقرب من الطائف، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة أظلتني فنظرت فيها فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال مُسلما علي ثم قال: يا محمد «عن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» (أي يطبق عليهم الجبال ليهلكهم).

فقال النبي صلي الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا».

هذا خلق الأنبياء ملك الجبال الذي بعثه الله تعالي لمحمد صلي الله عليه وسلم وهو في أوج كربه وحزنه والأسي يحز في نفسه من سوء معاملة قومه المشركين ويطلب من الرسول الكريم أن يهلكهم فيرفض المصطفي الأذى لهم ويطلب لهم

الهداية ويخرج من ذريتهم من يعبد الله تعالي ويؤمن برسالته العظيمة.

فَضَل الرسول الكريم انتشار دعوته وثباتها علي روح الانتقام والتشفي فيهم...هذا خلق الأنبياء اللذين يميزهم عن سائر خلق الله لاستمرار دعوتهم وامتدادها إلى الأجل الذي يحدده الله عز وجل.

ومن مواقف صبر الرسول صلوات الله عليه على الأذى وتحمله من مشركي قريش، كان أبو لهب يتبع النبي الكريم في مجامع الناس وأسواقهم ويكذبه ويصر على عناده وكفره ويتلمذه في الغدو والترحال بالكلمات التي تؤذى الرسول المصطفي ويتبع الرسول في كل مكان يذهب إليه وكانت أمرأته (أم جميل) تجمع الحطب والشوك من كل مكان يذهب إليه الرسول وتضعه في طريقه لتعيق سيره.

وقد خاطب الله تعالي أبا لهب وزوجته في سورة «المسد» وهي إحدى صور القرآن الكريم القصيرة بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾ [سورة المسد: ١:٥]

في جيدها= في عنقها المسد=الليف الذي يصنع من الحبل

ومن المواطن التي صبر فيها النبي الكريم صبرا عظيما ما ابتلاه الله به من موت الكثير من أهل بيته وأقربائه فقد مات أولاده وبناته حيث كان له من الذرية سبعة كلهم من زوجته السيدة خديجة ما عدا إبراهيم فإنه من زوجة أخري توالي موتهم واحدا واحدا تلو الآخر حتى لم يبقي منهم إلا فاطمة فما وهن ولا لان ولكن صبر صبرا جميلا.

وتوالت النكبات والأحزان بموت عمه أبي طالب الذي كان يحيطه بالرعاية فقد كفله بعد جده عبد المطلب وهو في الثامنة من عمره واستمر يعطف عليه حتي بعد البعثة المحمدية وكان يدافع عن الرسول الكريم في معظم مواقفه ومما يحز في نفس محمد صلي الله عليه وسلم أن عمه مات علي الكفر ولم يسلم بالرغم من العلاقة الحميمة التي كانت تربطهما وقبل موت عمه ماتت زوجته خديجة حبيبته التي أحبها وأول من آمن به من النساء واستمر زواجه منها خمس وعشرون سنه، لم يتزوج عليها وكانت نعم السند ونعم المعين ووقفت بجانبه في أداء الرسالة وقد حزن الرسول كثيرا وصبر بفقدها.

ولما خرج الرسول صلي الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة بعد عدة محاولات لقتله واغتياله.

وفي المدينة بدأ عهد جديدا من الصبر والتضحية وكانت بدايته صعبة مؤلمة حقا عاش حياه قاسية وشديدة لكنه مع كل ذلك يعرف أن الله معه وأن الله سوف ينصره ويقف بجانبه

فقد جاع وافتقر وربط على بطنه الحجر من شدة الجوع وتألم من الجوع وصبر وفي هذا يقول صلوات الله عليه وسلم:

«لقد أُخِفت في الله وما يخاف أحد ولقد أُوذِيتُ في الله وما يؤذى أحد وقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام نأكله إلا ما يوازن إبط بلال (كناية عن قلة الطعام). (رواه الترمذي)

ولسنا ببعيد عن جهاد الرسول الكريم في غزواته وسراياه (الغزوة التي يقود فيها الرسول الجيش والسرية التي يرسل الرسول من ينوب عنه في قيادة الجيش)

وما بدر وأحد والأحزاب وتبوك وحنين وغيرها التي تعدت مائة سرية وغزوة إلا صفحات مضيئة خاض فيها الرسول حروبا مع المشركين والكفار وهذه كلها وحدها تحتاج إلى عشرات الكتب لنذكرها بالتفصيل جاهد فيها وكافح وصبر وأبلي بلاء حسنا أعطي فيها من جهده وجهاده، لم يكن يخرج من غزوة إلا ويدخل في آخري حتى شج وجهه الشريف وكسرت رباعيته واتهم في عرضه ولحقه الأذى من المنافقين وجهلة الأعراب.

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يقول:

«رحم الله موسي لقد أوذي أكثر من هذا فصبر»

وقال صلي الله عليه وسلم في فضل الصبر:

« أن عظم الجزاء مع عظم البلاء» (رواه الترمذي)

وكان يقول أيضا:

«إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضا فله الرضا ومن سخط فله السخط». (رواه الترمذي)

ومن أقوال الرسول الكريم:

«ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة» (رواه الترمذي).

ولم يكن صبر الرسول صلي الله عليه وسلم مقتصرا على الأذى والابتلاء بل شمل صبره على طاعة الله سبحانه وتعالي حيث أمره ربه بذلك.

فكان يسهر الليل يسبح بحمد الله ويصلي ويقرأ القرآن حتى تتورم قدماه.

وكان شعاره في ذلك «أفلا أكون عبدا شكورا»

وكان الله تعالي يخاطبه في ذلك بقوله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]

وقوله تعالي: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه:١٣٢]

ولقد كانت وقائع سيرته صلي الله عليه وسلم مدرسة للصابرين يستلهمون منها حلاوة الصبر ولذة الابتلاء في سبيل الله تعالي.

وعلى ضوء هذه الصفحات الناطقة والأمثلة الحية التي أوردناها في خلق الصبر والتحمل يعيش المسلم محتسبا متحملا لا يشكو ولا يسخط ولا يدفه المكروه بمكروه ولكن يدفع السيئة بالحسنة بل يراه فريضة دينية أيضا يؤديها بصدر رحب ويتحمل في سبيلها ليجزيه الله خير الجزاء.

شجاعة الرسول صلي الله عليه وسلم:

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أشجع الناس يتصف بالإقدام وعدم الخوف من الأعداء وكان سباقا لملاقاة العدو لعلمه أنه دائما علي الحق ولعلمه أن الله تعالي معه دائما أينما كان يؤيده بنصره.

كان المصطفي صلوات الله عليه عظيما في شجاعته وثباته في سبيل الله وقد ثبت في جميع المواقف التي تتطلب الثبات ثبات الجبال الراسيات، وفي كل غزوة من الغزوات كانت له الشجاعة النادرة والبطولة الفذة، يخوض الحرب دون أن يبالي الموت فقد كان يؤمن برسالته ويبذل الغالي والرخيص في سبيل نشر دعوته التي كلفه الله بها وما دامت أنها تكليف من الله تعالي عز وجل فقد اطمأن أن الله يقف معه يسانده وينصره على الأعداء والمشركين.

وقال الإمام علي كرم الله وجهه: «كنا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله صلي الله عليه وسلم فيكون أقربنا للعدو».

الرسول كان يتقدم جيش المسلمين في أوائل الصفوف لملاقاة العدو.

كان عظيما في تفاؤله يؤمن بالفكرة ويضع الخطة لتنفيذها وينظم عمله تنظيما محكما فكما أنه كان القائد الديني للمسلمين فإنه كان قائدهم العسكري في جميع الغزوات والحروب التي وقعت بين المسلمين وأعداء الدين من المشركين.

كان الرسول صلي الله عليه وسلم ينفذ ما لديه من أفكار وهو متفائل كل التفاؤل واثق كل الثقة بالنصر في النهاية مع كثرة الأعداء وقلة المسلمين وقلة ما لديهم من عتاد وسلاح.

فقد حدث في غزوة الأحزاب أن أجتمع الكفار والمشركون واليهود من كل حدب وصوب من الجزيرة العربية للقضاء علي محمد والإسلام والمسلمين في المدينة وكان الأنصار والمهاجرون يحفرون خندقا يحميهم ويمنع الأعداء من الوصول إليهم (تسمي أيضا غزوة الخندق).

قال البراء بن عازب أيضا:

أمرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة في مكان الخندق لا تأخذ منها المعاول(الفؤوس) فشكونا إلي رسول الله فجاء الرسول الكريم فضرب ضربة

فكُسر ثلث الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأجد المدائن (مدينة كسري) وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا.

ثم قال بسم الله وضرب ضربة ثانية فكسر ثلث الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال بسم الله وضرب ضربة ثالثة فقلع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من العاصمة من مكاني هذا»

وبهذا الإيمان وبهذه الثقة بالله ونصره وبروح الرسول المتفائلة وشخصيته العظيمة وثباته النادر وما منحه الله من نور يري به ما لا يراه غيره ويتوقع من الأحداث ما لا يتوقعه غيره وفي هذه القصة قد تحقق ما رآه الرسول الكريم وهو يضرب الحجر، لقد انتشر الإسلام في فارس والشام واليمن بل تعدي هذه الأماكن إلى معظم البقاع في العالم بعد موت الرسول وحمل لواءه الخلفاء الراشدين من بعده، فاعزوا الإسلام وقادوه إلى النصر العظيم.

وعن أنس بن مالك قال:

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجعهم وأجودهم فقد كان هناك فزع في المدينة وأصوات صاخبة فظن الناس أنه ربما أتت جيوش لغزو المدينة والكل يهرب بعيدا عن هذه الأصوات هنا وهناك فما كان من الرسول صلي

الله عليه وسلم أن ركب جواده بسرعة دون أن يضع (السرج عليه) ودون أن يبطأ وتقلد سيفه في عنقه وخرج بخفة وسرعة يتفقد الأمر ويستطلعه وأتي بعد مدة وطمأن الناس.

ونستخلص من هذه القصة ما يلي:

١. أن الرسول أسرع يركب جواده دون وضع سراج عليه حتى لا يضيع وقتا هو أحوج إليه.

٢. أنه رفض أن يأخذ أحدا معه وهذا وإن دل فإنما يدل على شجاعة وجسارة قوية دون تردد وتمهل.

٣. انطلاق الرسول كالسهم نحو الهدف الذي يرغبه دون خوف أو فزع.

وعن شجاعته يوم غزوة حنين عن أبي إسحق قال:

سألت البراء وسأله رجل فقال:

فررتم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم حنين؟

فقال ولكن رسول الله لم يفر.

فالكل فر وأخذ يبحث عن الغنائم إلا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

إن خلق الأنبياء لا يسمح للرسول الكريم أن يترك خوض القتال والمعركة دائرة ويذهب ليبحث عن غنائم الحرب وهو قناع زائل في الدنيا كما كان يراه محمد صلي الله عليه وسلم.

كان المصطفي صلوات الله عليه شجاعا في صباه شجاعا في شبابه شجاعا في رجولته.

كان شجاعا في تبليغ رسالته إلى من؟ إلى المشركين الكفار الجبابرة فلم يخف ولم يلين معهم، كان قوي الشكيمة عالي الهمة والعزيمة كان في بداية دعواه سرا لم يسلم لله إلا أعداد قليلة ولما جهر بالدعوة علنا زادت أعداد المسلمين اللذين اعتنقوا الإسلام وبالجهاد والصبر تزايدت الأعداد، ودخل في دين الله أفواجا كثيرة بفضل الشجاعة التي تحلي بها الرسول وبالصبر والمثابرة وفوق هذا كله مساندة الله عز وجل في كل وقت وفي كل مكان لرسوله الكريم محمد صلي الله عليه وسلم.

ويقول الله تعالي في كتابه الكريم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ١-٣]

كان الرسول في صباه شجاعا:

طُلِبَ من الرسول صلي الله عليه وسلم وهو في صباه أن يحلف باللات والعزى وهما من آلهة قريش فرفض وقال لا تسألني بها شيئا ما بغضت شيئا بغضي لهما.

لقد قال الرسول الكريم رأيه بصراحة وشجاعة وهو صبي من دون خوف من أحد ولم يكترث لغضب قريش.

وذات مرة خرج في قافلة إلى اليمن مع عميه، وكان سنه آن ذاك سبع عشرة سنة فرأوا من الإبل جملا متوحشا فتعرض له محمد الشاب وكبح جماحه بشجاعة يحسد عليها مع أن القافلة كلها التي كانت معه كانت خائفة من الاقتراب من الجمل الهائج.

هذه أمثلة قليلة من شجاعته في صباه وشبابه ولكن الشجاعة الحقيقية هي شجاعته في أداء رسالته وخاصة حينما أمر بالدعوة جهارا.

كان ضمن أحكام الإسلام العظيمة هو تحريم الربا والخمر والميسر التي كانت منتشرة في بلاد العرب وغني عن التعريف أن الربا يفسد المعاملات التجارية ويقوض الاقتصاد ويشجع الجشع وكذا الخمر منها ما يضر جسم الإنسان كثيرا أكثر من نفعها وأما الميسر فهو إضاعة مال الإنسان ووقته بالباطل ويصبح الفرد رهين المكسب أو الخسارة لكن الميسر في جميع الأحوال تكون الخسارة الفادحة هي محصلة اللعب الأخيرة.

أتي الإسلام وتصدي لهذه الموبقات وحاربها محمد صلي الله عليه وسلم بجسارة وشن حربا ضروس لإبطالها وكافح دون هوادة مضحيا بالغالي والرخيص في سبيل تطبيق أحكام الإسلام التي تجلب للإنسان الفلاح والنجاح وتدفع عنه الأذى والضرر.

وقد أخترت هذه الموبقات الثلاثة بالذات لأن سادة قريش كانوا يعتمدون علي دخلها الحرام في معيشتهم، لكن الرسول صلي الله عليه وسلم الذي تحلي بالشجاعة فاقتحم عليهم هذا المعقل ونسفه من أساسه وبدد أحلامهم في الربح الحرام الذي لا يرضاه الله ونهي عنه في كتابه الكريم.

وأما المعقل الثاني الذي نسفه الرسول الكريم وجاهد جهادا مريرا في سبيله فهو أن أهل مكة الأشراف والأغنياء كانوا يفخرون بالأحساب والأنساب ويتعالون على الفقراء ويزدرونهم فجاء محمد صلي الله عليه وسلم ونادي بالمساواة بين الأغنياء والفقراء، الأشراف وأولاد الناس الكادحة البسيطة وبين السادة والعبيد وكان يقول للناس قوله المشهور:

« الناس في الإسلام متساوون كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي»

وكان يقول لقومه:

«يا بني هاشم لا يجيئني الناس بأعمالهم وتجيئوني بأنسابكم»

ولم يكتف محمد صلي الله عليه وسلم بالمساواة بين الفقراء والأغنياء فقط والسادة والعبيد لكنه أمر بإعطاء الفقراء الزكاة التي هي حق لهم حتى يتمكنوا من تحرير أنفسهم من العبودية.

ألا يكون تصدي محمد صلي الله عليه وسلم لسادة القوم وعظمائهم الجبابرة ألا يعتبر ذلك شجاعة نادرة فلم يخف بطشهم وقوتهم ولم يهب جبروتهم «ودخل عش الدبابير بأرجله» كما نقول نحن في أقوالنا اليوم.

لقد اعتمد المصطفي الكريم علي الله وتوكل عليه ودائما كان ينصره الله ويقف بجانبه في كل محنة وفي كل وقت وكل حين لأن جانب محمد هو جانب الحق والصواب.

الصدق والأمانة من أخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم:

لُقب الرسول صلي الله عليه وسلم منذ أن كان طفلا بالصادق الأمين وذلك قبل ان تتنزل عليه الرسالة فلم يعرف أحد من قريش أن الرسول قال غير الحق ولم يذكر أحد أن الرسول قد كذب في يوما ما.

وكان المصطفي عليه الصلاة والسلام أمينا منذ نعومة أظافره لقد كان أهل قريش يفضلون وضع أشيائهم الثمينة عند سفرهم عند محمد عليه الصلاة والسلام بالأيام والأسابيع والشهور وعند عودتهم وطلب حاجياتهم يلقونها كما هي، وكيف وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وكيف يكون خلق محمد عليه الصلاة والسلام والله يعلم أنه سيحمل الأمانة الكبيرة التي سوف يوكله بها الله تعالي.

ولأمانته وصدقه وأخلاقه الكريمة اختارته السيدة خديجة من أشراف قريش وهو شاب ليتاجر لها في أموالها ويدير كل أعمالها فقام بهذا التكليف خير قيام وانتعشت تجارتها وكبرت ووجدت من الرسول الكريم نعم المعين ونعم القادر على أداء هذه المهمة خير أداء.

ومع أن السيدة خديجة كانت من أغني قريش مالا وثروة وأعظمهم شرفا وأوسطهم نسبا إلا أنها تزوجت الشاب محمد لشخصيته العظيمة وأخلاقه الكريمة ومهارته النادرة ولصدقه وأمانته.

ولما نزل الوحي على الرسول الكريم وأوكله الله بتأدية الرسالة الإسلامية الكبرى ونشرها عرض الإسلام على زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها فكانت أول من أسلم من أمهات المسلمين وكانت نعم المعين له والسند في نشر دعوته ولما لا فالطيبون للطيبات.

لقد كان محمد صلوات الله وسلامه عليه أمينا في دعوته إلى الناس لدخول الإسلام صادقا في كل حديث أو دعوة يقولها وكان ينقل عن جبريل عليه السلام كل أوامر وتكاليف الله عز وجل متمثلة في آيات الله الكريمة كما أنزلت.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر أن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور

وإن الفجور يهدي إلى النار، ومازال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

وروي الترمذي عن «عبد الله بن الحمراء» قال:

«وعدني رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يلقاني في مكان ما وقد نسيت هذا الوعد ثم تذكرته بعد ثلاثة أيام فجئت إلى هذا المكان فوجدت رسول الله مكانه وقال لي شققت على إنني هنا منذ ثلاثة أيام أنتظرك».

صدق وعدك يا رسول الله لم يخلف وعده حتى لو طالت الأيام التي ينتظر فيها من وعده.

والمسلم يجب ان يكون صادقا في أقواله وفي أفعاله والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به لا غير، بل إنه ينظر إلى أبعد من ذلك يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه ومكملات إسلامه وقد أمر الله بالصدق في كتابه عز وجل.

قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبه:١١٩]

وقال في الثناء علي أهل الصدق: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]

وقال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [سورة الأحزاب :٣٥]

وروي عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه حينما هاجر من مكة إلى المدينة ترك علي بن أبي طالب في فراشه وخرج والمشركين ينتظرونه في الخارج وقد أعماهم الله عن رؤيته وكان المصطفي قد أمر علي أن يتأخر ولا يأتي مع المهاجرين حتى يرد جميع الأمانات التي تركها الناس عند الرسول وقد تأخر على حتى رد أمانات أهل قريش كلها ثم ذهب إلى مكة ليلحق بالرسول صلوات الله عليه.

الرسول الكريم في موقف لا يحسد عليه من الكرب والهم بسبب إساءات قومه وإزائهم له هو ومن معه وقد أُجبر علي ترك مكة ومع ذلك يفكر بضمير يقظ ونفس عفيفة وشريفة وخلق رفيع يفكر في رد أمانات الناس التي عنده وتطوق عنه هذا وللصدق إذا أخذ من نفس المسلم ثمرات طيبة يجنيها الصادقون منها:

١. راحة الضمير وطمأنينة النفس، لقول الرسول الصادق: الصدق طمأنينة (رواه الترمذي وصححه بلفظ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة).

٢. البركة في الكسب وزيادة الخير لقول الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا ذهبت بركة بيعهما». (رواه البخاري)

٣. النجاة من المكروه فقد حكي أن هاربا لجأ إلي أحد الصالحين وقال له أخفى عن طالبي فقال له: نم هنا وألقي عليه حزمه من خوص فلما جاء طالبوه وسألوا عنه قال لهم:

ها هو ذا تحت الخوص فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه ونجا ببركة الصدق... صدق الرجل الصالح.

٤. الفوز بمنزلة الشهداء لقوله صلي الله عليه وسلم:

«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.» (رواه مسلم)

هذا وللصدق مظاهر يتجلى فيها منها:

٥. في صدق الحديث... فالمسلم إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق إذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع في نفس الأمر وقال صلي الله عليه وسلم:

« آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتُمن خان» (رواه البخاري ومسلم وأحمد).

٦. وفي صدق العزم... فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي عمله فلا يتردد في ذلك بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو مبالٍ بآخر حتى ينجز عمله.

٧. صدق المعاملة... فالمسلم إذا عامل أحدا صَدَقَهُ في معاملة فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بأي حال من الأحوال.

٨. فالمسلم إذا وعد أحد أنجز له ما وعده به، وإذا خلف الوعد ولم يَصدُقهُ أصبح ذلك من آيات النفاق.

زهده صلي الله عليه وسلم:

نهي الله عز وجل النبي صلي الله عليه وسلم والمؤمنين عن الرغبة بشراهة والتكالب على متاع الدنيا وزينتها وبهجتها والركون إليها والمبالغة في الاستمتاع بالمتع والملذات ولكنه حلل وأجاز القناعة والاعتدال فيما وهبه الله من متع الدنيا وبهجتها فحلل الطعام والشراب دون إسراف وحلل الزواج على شروطه وسنة رسوله الكريم وأجاز الملبس دون بزخ وإسراف.

قال الله تعالي في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه : ١٣١]

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

فالرسول الكريم يوصي بأن نزهد في الدنيا ولا نتكالب ونجري وراء ملذاتها ومتاعها حتى يحبنا الله تعالي ويرضي عنا، وكذا لا ننظر إلى ما في يد الناس وعندهم من متاع الدنيا فهذا يجلب لك حب الناس والفوز بتقديرهم لك.

ويرشدنا المصطفي صلي الله عليه وسلم بأن غني الإنسان ليس غناه بالمال بل بغني النفس وهو القناعة بما وهبه الله لك والرضا بما قسمه لك من الرزق وعدم الضجر والتزمت والضيق من الفقر.

وقال المصطفي صلي الله عليه وسلم:

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقي منها كافرا شربة ماء» (رواه الترمذي)

فالرسول الكريم يعلمنا أن متاع الدنيا زائل ولو كانت الدنيا تزن عند الله وزن جناح بعوضه لما جعل للكافر في هذه الدنيا رزقا حتى ولو كان شربة ماء.

كان رسولنا العظيم يستطيع أن يعيش هو وأهله عيشة الترف والنعيم والغني فقد كان تحت يده أموال المسلمين وخزائنهم يوزعها كيفما شاء وكان يستطيع هو وأهله وأهل بيته عيشة الملوك والقياصرة في قصور فخمة ويحيا حياة طيبة فيها كل وسائل الراحة والنعيم ولكنه زهد في الدنيا وزهد في هذه الحياة فأحس بعيشة الفقراء ولهذا كان يعطف عليهم وعلي المساكين والضعفاء والمحتاجين من المسلمين، كان يكتفي من الطعام بالتمر واللبن وخبز الشعير ولا ينام علي فراش وثير من الديباج والحرير بل ينام علي الحصير ويعطي الفقراء والأيتام كل ما يصله من المال كان يفكر في غيره وينسي نفسه فكان المثل الأعلى في العظمة الروحية والإيثار السامي الذي لا مثيل له. وعاش عيشة الفقراء من المسلمين.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

«ما شبع آل محمد من خبز الشعير يوميين متتاليين حتى قُبض رسول الله صلي الله عليه وسلم (قبض= مات).

وقال عمر بن الخطاب:

«دخلت يوما علي رسول الله صلي الله عليه وسلم مضطجع على حصير خشن فجلست، فإذا الحصير قد أثر في جنبه وإذا عليه ثوب ليس عليه غيره وإذا أنا بقبضة من الشعير في ناحية من الغرفة فأسرعت عيناي بالبكاء فقال صلي الله عليه وسلم: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذا الملبس عليك ثوب ما ليس عليك غيره وهذه خزانتك لا أري فيها إلا هذه القبضة من الشعير وذلك كسري وذلك قيصر يعيشان في قصور ونعيم ووفرة في الثمار والطعام والثياب الفاخرة وأنت نبي الله وصفوته فقال الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم: يا ابن الخطاب أما ترضي أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟» هذه هي العظمة المثالية يا رسول الإنسانية زهدت في الدنيا فسيعوضك الله عنها في الآخرة.

إن الرسول الكريم ضرب لنا المثل الأعلى والقدوة السامية الحسنة في الصبر على البأساء والضراء والرضا بقضاء الله تعالي.

كان رسول الله الكريم يدعو ربه:

«اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين».

مات الرسول الكريم كما أخبرت بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها ولم يترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعير وترك درعا له مرهونا عند يهودي نظير دراهم قليلة. وقالت أيضا:

لقد مات وما في بيتي شيئا يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي. وقال لي: «إني عرض على أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب، أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك.» (رواه الترمذي)

كان فراش الرسول صلي الله عليه وسلم الذي ينام عليه يدل على زهده في الدنيا.

فروي الترمذي رضي الله عنه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سئلت، كان فراش الرسول صلي الله عليه وسلم في بيتك؟ قال: (كان من أدم حشوه ليف) (أي كان من جلد مدبوغ محشو بليف النخل)

أين هو من فراشنا اليوم الوثير الذي يتفنن كل إنسان في صناعته فمنهم من يحشوه بريش النعام أو القطن المكسو بالحرير ومنهم من يستورده من الخارج ويفع فيه عشرات المئات من الجنيهات.

إن الرسول يعلم علم اليقين أن قناع الدنيا زائل وأن الآخرة خير وأبقي ولذا كان لا يغير الدنيا أي اهتمام زاهدا فيها طمعا في نعيم الآخرة الباقي إلى الأبد.

سئلت حفصة رضي الله عنها أيضا عن فراش الرسول صلي الله عليه وسلم فأجابت: كان فراشا خشنا يثني ثانيتين فحدثت حفصة نفسها بأن هذا الفراش لو ثني أربع ثنايات لكان ألين ونام عليه الرسول صلي الله عليه وسلم فلما أصبح سأل عما فرشوه تلك الليلة لأنه كان ناعما لينا حتى ظن أنه فراش غير فراشه فأخبرته حفصة، فطلب منها أن يردوه كما كان لأن الفراش اللين قد منعه من القيام لصلاة التهجد تلك الليلة.

هذا الزهد هو خلق الأنبياء والرسل.

عن أنس عن أبي كلحة قال: شكونا إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا حَجَر فرفع عليه الصلاة والسلام عن بطنه حجرين (رواه الترمذي).

وعن جابر قال: لما حضر النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي الكريم على بطنه حجر من الجوع.

لقد قلت في موضع سابق أن الألم يطهر النفس البشرية والصبر والتحمل لهذا الألم يخلق الخلق الكريم والإنسانية السمحة في الإنسان فالذي يجوع يتعلم ويحس بما يشعر غيره من الفقر والحرمان فيسعي إلى نجدتهم وسد حاجتهم...

قمة الإنسانية وقمة الرحمة التي يتعلمها الإنسان من المواقف الصعبة ويقيني أن الحياة المترفة الرغدة طوال الوقت لا تجعل الإنسان يحس بشقاء من حوله ولا بتعاسة الآخرين.

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت له هل أكل رسول الله صلي الله عليه وسلم الخبز المرقق (أي الخبز المصنوع من الدقيق المنخول) فأجاب: لا لم يأكله قط. (رواه البخاري والترمذي وأحمد).

فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يأكل الخبز دون أن ينقي من شوائبه أو ينخل فكان خبزا خشنا جافا.

نحمد الله الآن أننا في مدننا وقرانا نجد عشرات الأنواع من الخبز الفاخر والمنخول والطبقي والتمييز والفينو وغيره وغيره فهل فكر أحد منا أن يجرب الخبز الذي كان يأكله الرسول ويصبر عليه فترة طويلة؟ يا تري ماذا ستكون الإجابة؟

وفي الحديث عن الزهد... عن الخبز أيضا فلم يكن غير الشعير والتمر والماء هذا هو غذاء الرسول الكريم

عن أنس بن مالك: أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت قرص خبزته، فلم تطب نفس حتى آتيك بهذه الكسرة فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام» (رواه أحمد)

وعن عائشة رضي الله قالت:

ما رفع رسول الله صلي الله عليه وسلم قط غذاء لعشاء ولا عشاء قط لغذاء ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا من النعال ولا رئي فارغا في بيته إما يخصف نعلا (يصلح) لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرمله.

لم يكن الرسول يأخذ أجرا من المساكين أو الأرامل اللذين يحضرون إليه البيت ليصلح لهم ثيابهم ونعالهم.

الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم الذي يحكم المسلمين يذهب الناس إلى بيته لماذا؟ ليقضى لهم حوائجهم ويعطيهم من خزينة المال. مال الزكاة للمسلمين وفوق هذا كله يصلح لهم أشياءهم وهو يفترش الأرض ويكلمهم ويحاورهم ماذا تسمي هذا؟ ... هل نري مثل هذا اليوم أن حاكم الأمة أو زعيمها أو رئيسها يفعل ذلك؟

أعتقد أن من يري ذلك يظن أن القيامة سوف تقوم في هذا اليوم أو هذه اللحظة.

لا تتعجب من قراءة هذه القصص فقد رواها أكثر من إمام أو فقيه من المسلمين وقاموا بتحقيقها والتحقق والتدقيق فيها. من هؤلاء الأئمة أنهم رجال يشهد لهم بالنزاهة والصدق والورع والتقوى لا يخافون إلا الله ولا يبغون من الدنيا مالا ولا جاها. فهل لا نصدقهم أو نشكك في نزاهتهم؟

إن المصطفي صلي الله عليه وسلم ضرب المثل الأعلى في الزهد والقناعة لا يفكر في النعيم الزائل للدنيا لكنه كان يعمل للآخرة ويفكر فيها كان يفكر كيف يرضي ربه. كان يخافه ويخشاه.

كان في يده خزائن المال للمسلمين يهب منها لمن يشاء من الفقراء والضعفاء والمساكين ويوزعها بالقسطاس المستقيم ويحرم نفسه منها لأنه لا يرغب متاع الدنيا لكنه كان يفكر في ثواب الآخرة الباقي والدائم، كان يكتفي بالنوم على الليف أو الحصير ويتناول الخبز من الشعير والتمر والماء.

قالت السيدة عائشة لعروة بن أختها:

إنا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقدت في بيوت رسول الله من نار وسألها عروة ما كان عيشكم يا خاله؟ قالت الأسودان: التمر والماء.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«من أصبح آمنا في نفسه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما أعطيت له الدنيا بحذافيرها».

ورأي عمر مرة حُلة من حرير تباع فأتي بها إلى النبي فقال يا رسول الله اشتر هذه فتجمل بها للعيد والوفود فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إنما هذه لباس من لا خلاق له».

فالمصطفي صلي الله عليه وسلم خير قدوة للناس كافة في الزهد والقناعة والرضا بالضروريات في الحياة وترك الترف

والإسراف والـذات الفانيـة والتفكـير في النواحـي الروحيـة الباقية.

وللأمانــة العلميــة نقــول إنــه كان لرســول الله جــيران مــن الأنصــار يمنحــون الرســول بعــض مــن الألبــان التــي يحصلــون عليهــا مــن قطيعهــم.

كـما أن الرسـول المصطفـي صـلي الله عليـه وسـلم كان يتـذوق اللحـم والأشـياء الأخـرى مـن الطعـام في بعـض المواسـم والأعياد وعنـد حضـور عقيقـة عنـد أحـد الصحابـة أو غيرهـم في مناسـبات أخـرى لكـن الأغلـب في طعامـه وفي عيشـه هـو مـا ذكرنـاه.

وقيـل إن رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم دخـل عـلي ابنتـه فاطمـة وفي يدهـا سلسـلة مـن ذهـب أهداهـا إليهـا أبـو الحسـن (زوجهـا عـلي بـن أبي طالـب كـرم الله وجهـه) فقـال المصطفـي صـلي الله عليـه وسـلم:

يـا فاطمـة أيسرك أن يقـول النـاس ابنـة رسـول الله في يدهـا سلسـلة مـن نـار؟ وخـرج ولم يقعـد.

فأرسـلت السـيدة فاطمـة بالسلسـلة فباعتهـا واشـترت بثمنهـا عبـدا وأعتقتـه فحـدث رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم بعـد ذلـك فقـال «الحمـد لله الـذي نجـي فاطمـة مـن النـار».

وهــذه القصــة المذكــورة نهديهــا إلى المربــين وأوليــاء الأمــور في كيفيــة تربيــة الأولاد التربيــة المثاليــة والروحيــة عــلى الزهــد والقناعــة والرضــا بالقليــل.

وقال علي كرم الله وجهه وهو زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم:

إن فاطمة اشتكت ما تلقي من تعب وكد في إدارة الرحي (الماكينة التي تطحن الشعير لصناعة الخبز).

فبلغها بأن النبي صلي الله عليه وسلم قد أتي ببعض الأسرى فأتته تسأله خادما (يساعدها في شئون البيت) فلم تجد أباها فذكرت ذلك للسيدة عائشة رضي الله عنها فجاء النبي فذكرت له ذلك.

وأكمل على القصة: فأتانا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأخذنا مضاجعنا (وأردنا أن ننام) فذهبنا نقوم فقال: «على مكانكما... هل أدلكما علي خير مما أتيتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين إن ذلك خير لكما مما سألتماه».

فبدلا من أن يرسل المصطفي صلي الله عليه وسلم خادما لابنته وزوجها ابن عمه نصح لهما أن يسبحا الله خيرا مما طلباه.

ذكرنا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف كان يستطيع أن يعيش عيشة الملوك والقياصرة هل لأنه حاكم ورئيس المسلمين؟ هل لأن أموال المسلمين وخزائنها كانت تحت يده؟ لا هذا ولا ذاك ولكن كان يستطيع أن يكون غنيا لأن الله تعالي قد أحل له أن يأخذ الخمس من غنائم الحرب له خالصة كما

ورد ذكره في كتاب الله الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة الأنفال:٤١]

كما أن الله تعالي قد أعطاه الحق أن يأخذ من مال الفيء = (ما يأخذه المسلمون من الأعداء بغير حرب بعد خضوعهم للمسلمين).

يقول تعالي: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة الحشر:٧]

فالله تعالي أحل للرسول صلي الله عليه وسلم خُمس الغنائم من الحروب التي خاضها وهي كما علمنا أكثر من مائة غزوة وسرية كم يكون ناتج الخمس له هذا مضافا إلى أموال الفيء التي ذكرناها أضفنا هذا إلى ذاك كما يكون الناتج ليصبح حقا مكتسبا له كما أحله الله له في كتابه الكريم؟

الحقيقة أن الرسول الكريم محمد صلي الله عليه وسلم كان يأخذ خمس الغنائم مضافا إلى الفيء يأخذه له. لكن ماذا كان يفعل بكل هذا المغنم وهذه الأموال؟ كان يوزع كل ذلك على الفقراء والمساكين المسلمين والضعفاء والأرامل المحتاجين واليتامى وأكبر الدلائل وأعظمها على ذلك أن الرسول قد مات ولم يجدوا عنده مال ولا ممتلكات ولا ذهب فقد عاش فقيرا ومات فقيرا بإجماع الأقوال والقصص التي رواها

الأئمة والفقهاء وكذا الشواهد الثابتة على ذلك ولم يختلف اثنين في هذه النقطة بالذات ولكنهم قد اختلفوا في بعض الأحكام البسيطة في الأمور الفقهية وطريقة أدائها والتي لا تؤثر في لب العقيدة والشريعة الإسلامية.

وفاء الرسول صلي الله عليه وسلم وإخلاصه:

الوفاء والإخلاص سمة عظيمة وطيبة من ضمن شمائل الخلق الكريم والإنسان المخلص والوفي يقبل عليه الناس في تعاملهم معه بروح طيبة ومسالمة تلقائية وإذا عم هذا الخلق العظيم في تعامل المسلم سادت الطمأنينة والعدل والحب والخير والإنسانية وارتاحوا وسعدوا.

وكان الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم شديد الإخلاص والوفاء لأهله وصحابته والمسلمين وغيرهم من الملل الأخرى.

فقد حضر وفد من عند النجاشي ملك حبشة فقام الرسول صلوات الله عليه وسلم يخدم الوفد بنفسه ويرعاهم فقال له أصحابه: أترك هذا الأمر لنا يا محمد لقد فعلنا لهم ما فيه الكفاية فقال لهم الرسول الكريم: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فزيدوا في كرمهم وإني أحب أن أكافئهم.

وكان المصطفي صلوات الله عليه وسلامة وفيا للسيدة خديجة في حياتها وفي مماتها وكان الإخلاص المتبادل بينهما طوال عشرتهما حديث المسلمين.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ما غِرتُ من امرأة كما غرت من خديجة لما كنت أسمع الرسول يذكرها.

وقال أنس: «كان عليه السلام إذا أوتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة إنها كانت صديقة لخديجة. إنها كانت تحب خديجة».

لقد كان إخلاصه ووفاءه لأقرب الناس إليه زوجته السيدة خديجة فكانت خير مثل للزوجة الأمينة الصالحة البارة الوفية وخير مثل للشريكة الحبة المخلصة المتعاونة رأت ما لحق الرسول من إيذاء وما لحق أصاحبه من تعذيب فكانت خير معينة للمصطفي صلي الله عليه وسلم في أداء رسالته ونجاح دعوته إلي الحق وديـن الحق، وظل الرسول مخلصا وفيا لها فلم يتزوج عليها حتي توفيت بعد عشرة طويلة بلغت ربع قرن من الزمان الحافل بالإخلاص والوفاء والمعاملة الحسنة الكريمة والاحترام المتبادل والعشرة الطيبة ولما ماتت فتزوج بعدها بالسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان صلي الله عليه وسلم يذكر خديجة بكل خير طوال حياته.

ومن أقوال الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلم عنها:

والله ما أبدلني الله خيرا من خديجة، صدقتني إذ كذبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء.

ويقـول «كارليـل» وهـو كاتـب إنجليـز وفيلسـوف ومصلـح اجتماعـي وهـو أول مـن اعـترف مـن الإنجليـز لسـيدنا محمـد صـلي الله عليـه وسـلم وشـهد لـه بالعظمـة.

يقـول الكاتـب «كارليـل» تعليقـا عـلى العبـارة الأخـيرة التـي وردت في حديـث الرسـول الكريـم «والله مـا أبدلنـي الله خـيرا مـن خديجـة» التـي قالهـا للسـيدة عائشـة زوجتـه الثانيـة مـا معنـاه: أن محمـدا أغضـب زوجتـه الحيـة في سـبيل إرضـاء زوجتـه الميتـة ومـن هـي زوجتـه الحيـة؟ إنهـا عائشـة بنـت صديقـه أبي بكـر الصديـق عائشـة صغـيرة السـن فائقـة الجـمال إن الإنسـان الـذي يجيـب بـما أجابـه محمـد يعـد مخلصـا إخلاصـا لا مثيـل لـه بـين بنـي الإنسـان ويعـد إنسـانا غـير طبيعـي وإني أقـول: مـن الإنسـان غـير الطبيعـي؟ إنـه الرسـول الـوفي الصـادق الأمـين المخلـص المثـل الأعـلى الكامـل وأعظـم الأنبيـاء وخاتـم المرسـلين.

حقاقـه كان رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم مثـلا غاليـا للوفاء والمـروءة والنبـل ويفـي بعهـده ووعـده للعـدو كـما يفـي للصديـق ومـا عـرف عنـه في حياتـه كلهـا أنـه أخلـف وعـدا أو أنقـض عهـدا أو غـدر بإنسـان حتـى ولـو كان مـن الملـل الأخـرى، لقـد حافـظ عـلي عهـوده ووعـوده مـع الملـل الأخـرى مـع النصـارى ومـع اليهـود ولـو حافظـت الأمـم والـدول عـلى الوفـاء بالعهـود كـما أمرنـا الإسـلام مـا حـدث الاضطـراب الـذي نـراه اليـوم في العـالم ولسـاد السـلام بـين الشـعوب ولكـن مـن الـذي يثـق بحليفـة

الإنسان؟ من الذي يطمئن إلى العهود والمعاهدات الدولية التي تبرم هذه الأيام وفي هذا العصر المضطرب الغريب؟

ونعود إلى العلاقة الطيبة التي كانت بين الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه وبين زوجته التي كان يغلفها الحب والإخلاص والوفاء أقول إن هذا الخلق الرفيع الذي هو من روح الإسلام لو انتشر اليوم وعم بين الأزواج والزوجات هل كنا نري آلاف الحالات من الطلاق وتقويض دعائم الأسرة التي نراها اليوم؟ هل كنا سنري الكم الرهيب من القضايا في المحاكم بين المتزوجين؟ هل كنا نري تهدم الأسرة وتفكيك كيانها وتشرد الأبناء التي نراها اليوم؟ هل كنا نري الجرائم التي انتشرت وسادت بسبب غياب الأب أو الأم بالانفصال عن الأسرة وانحراف الأبناء؟

ونعود إلى الرسول صلي الله عليه وسلم ورأينا في قصة ذكرناها من قبل في باب صدق الوعد عند الرسول وانتظاره لعبد الله بن حماء ثلاثة أيام وحضر عبد الله بعد ثلاثة أيام وكان قد نسي الموعد فوجد الرسول مكانه نقول إنها تصلح لأن تكون مثلا طيبا ليس في صدق الوعد فقط ولكن في الوفاء بهذا الوعد.

روت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت:

أن عجوزا جاءت إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال لها: من أنت؟ فقالت: جثامة المزين فقال: كيف أنتم؟ كيف

حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ فقالت: بخير بأبي أنت وأمي.

فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه السيدة العجوز هذا الإقبال قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان.

إن عظمة الرسول تتجلي أكثر وأكثر في إخلاصه في الدعوة إلي الإسلام ليلا ونهارا بإيمان وعقيدة دون تهاون أو إهمال ودون همة أو انكسار.

دعا الرسول صلي الله عليه وسلم سرا ثلاث سنوات ثم أمره الله تعالي بالدعوة إلي الإسلام جهرا.

صعد الرسول الكريم على الصفا (مكان في مكة) فقال: يا معشر قريش محمد علي الصفا يهتف فأقبلوا وتجمعوا وقالوا مالك يا محمد؟ قال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا قط.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين إني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا نصيبا إلا أن تقولوا «لا إله إلا الله».

وقد أوذي الرسول كل الإيذاء في سبيل نشر الدين الحق والدعوة إلي الإسلام وصبر صبرا جميلا وأخذ يدعو ربه ليلا ونهارا أن يكلل دعوته بالنجاح والتوفيق ويدخل الناس في

دين الله حتى جاء نصر الله. قال تعالي: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣٠]

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [سورة الحجر ٩٧-٩٩]

وقد حاول معه الكثير من أفراد بني هاشم وهم من أخيار القبيلة التي ينتمي إليها محمد صلي الله عليه وسلم فآباؤه وأجداده كانوا جميعا سادة العرب وأشرافهم وحاولوا معه أن يترك الرسالة التي أمره الله بها وعرضوا عليه الأموال الكثيرة فلم يرضي وعرضوا عليه أن يصبح سيدهم ورئيس قبيلتهم فرفض فلما لم يجدوا منه سوي الصمود والوفاء والإخلاص للرسالة التي اختصه الله بها حاولوا تعذيب العبيد والفقراء والضعفاء اللذين أسلموا من أهل قريش ففشلوا أيضا بالضغط والترهيب وتهديد الرسول صلي الله عليه وسلم بالقتل فلم يفلحوا.

حتى إنه قال لعمه أبي طالب: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

فأجابه أبو طالب: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لأحد أبدا.

قمة الإخلاص وقمة العظمة في التمسك بخلق الوفاء في تأدية الرسالة ونشر الإسلام - نشر دين الحق الذي أمره الله به.

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم المثل الأعلى للوفاء.

ومن وفائه أنه قد سمع الشاعر حسان بن ثابت يمدح مطعم بن عدي من قتلي بدر وكان مشركا من أشراف قريش وكان الرسول قد طلب أن يحميه بعض رؤساء مكة ليدخلها آمنا على حياته فامتنعوا وقبل مطعم أن يدخلها في حمايته.

فالرسول قد سمع شاعره وهو يرثي مادحا عدوا من أعدائه المشركين ولم ينكر علي حسان هذا الرثاء لا لشيء إلا لأن مطعم قد وقف معه موقفا كريما فوقف الرسول موقفا كله وفاء بمعناه لذكري هذا المشرك مقدار معني الرجولة والمروءة.

ومن وفائه صلي الله عليه وسلم أنه حينما اشتد به المرض وهو المرض الذي قاده إلى لقاء ربه عز وجل خرج إلى أصحابه ثم صعد المنبر وقال:

«يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا فإن الناس يزيدون وإن الأنصار لا تزيد وإنهم كانوا نعم المأوي لي كأنني في داري»

فالرسول يوصي بالأنصار اللذين نصروه واستقبلوه عند هجرته من مكة إلى المدينة ووقفوا بجانبه وقبلوا دين الإسلام ورفعوا لواء رسالته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى (الموت) وهذا مثل سام في الوفاء.

ورع الرسول صلي الله عليه وسلم ونقواه:

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع»

والورع هو تقوي الله عز وجل والخوف من عقابه والإخلاص الكامل في العبادة وترك كل ما يغضب الله والتمسك بكل الفضائل الأخلاقية والابتعاد عن الشبهات ومجاهدة النفس عن الوقوع في المعاصي والسيئات الصغيرة قبل الكبيرة.

وجاء في حديث النعمان بن بشير:

«إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، ألا وإن الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»

(الحلال بين والحرام بين).

صدقت يا بن البشير.

خلق الله العقل للإنسان ليميز به ما هو الحلال وما هو الحرام، وإذا وقع الإنسان في موقع يكون بين خيارين فإنه يأخذ بالموقف الذي لا شبهه فيه حتى ولو كلف الإنسان الغالي والرخيص وكان صعبا عليه تنفيذه هذا خلق الورع والتقوى تقوي الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة.

فقد يعرض للمرء أمر مشتبه عليه لا يتبين أحلال هو أم حرام فيحمله ورعه وتقواه حينئذ على تركه حتى وإن بدا هذا الأمر هو الأيسر (الأسهل) له والأنفع.

ويقول المصطفي صلي الله عليه وسلم:

«إنك لن تدع شيئا اتقاء لله عز وجل إلا أعطاك الله خيرا منه»

وكان الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم ورعا تقيا طوال حياته يفكر في كل عمل أو تصرف يقوم به ويعمل له ألف حساب-لقد عصمه الله من الأخطاء البشرية التي يقع فيها بني الإنسان فكان النبي صلي الله عليه وسلم يجد التمرة ملقاة على فراشة فيرفعها إلى فمه ليأكلها وهو جوعان فيقول في نفسه (ربما تكون من تمر الصدقة) فيلقيها تورعا وخوفا من الله عز وجل، ويشاهد الحسن بن علي وهو يمضغ تمرة من تمر الصدقة فيترع الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم من هذا ويقول:

أرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة. فكان ينزعج ويأبي بورعة المرهف أن يأكل أحد من أهله أدني شيء حتى ولو كان

تمرة من تمر الصدقة حتى ولو كان غلاما صغيرا جائعا.

كان الرسول الكريم صلوات الله عليه يخلص في عمله كل الإخلاص ويتجه إلي الله تعالي بكل جوارحه وقلبه حينما يقف بين يدي الله جل شأنه للعبادة عملا بقوله تعالي: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة القصص:٧٧]

يأمرنا الله تعالي أن نعمل حسابا للدار الآخرة ونعبد الله ونتقيه ونأتمر بما أمر به وننتهي عما نهى عنه لكننا في عبادتنا لا ننسى الدنيا التي خلقها الله لنا لنأخذ نصيبنا منها من المتع والنعيم ولكن بالحق والعدل دون مبالغة وطمع بما يرضي الله عز وجل.

لقد كان الرسول الكريم قبل بعثة الإسلام يفكر في خالق الكون بفطرته التي فطرها الله عليها يفكر ويتدبر الأمر ويختلق بالخلق الحميد والمعاملة الإنسانية، وبعد الإسلام كان يتجه إلى عبادة الله يتوضأ ويقوم ليصلي ويطيل الصلاة ليلا في خلوته مع ربه حتى تتورم قدماه أو ساقاه فيقال له: لما هذا فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا».

كان صلوات الله عليه يتهجد ليلا عملا بقول الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ

﴿زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)﴾ [سورة المزمل: ١-٥]

التهجد: (صلاة طويلة ليست من الصلاة التي فرضت ولكنه يمكن تركها لأنها ليست من الفروض)

المزمل: الملفوف في ثيابه **قم الليل**: أي صل **ترتيلا**: أي على مهل.

والمعني يا أيها النبي تهجد بالصلاة وصلي نصف الليل أو أنقص منه واقرأ القرآن على مهل كي تتدبر وتفكر في معانيه. إنا سنلقي عليك القرآن وفيه تكاليف شاقة على النفوس.

وإن العبادة ليلا تكون أشد ثباتا في النفس من العبادة نهارا والقرآن الذي يقرأ ليلا يساعد الإنسان على تذكر معانيه بسبب الهدوء والسكينة في ذلك الوقت.

ولنقف وقفة صغيرة مع النفس لما للصلاة وهي الفريضة الأولي في الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. الصلاة جعلها الله في مقدمة العبادات التي تقود الإنسان إلى العمل الصالح وإلي الفوز برضاء الله عز وجل.

وأول ما يسأل يوم القيامة عن أعمال الإنسان هو الصلاة فغن كان يؤديها المسلم صحيحة في أوقاتها سهلت له بقية الأعمال وبقية حساب الله عز وجل إن التهجد ليلا والقيام للصلاة وذكر الله لهي العبادة الحقه التي تعود إلى ورع الإنسان

وتقـواه كـما قـال الله تعـالي في كتابـه العزيـز: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سـورة العنكبـوت:٤٥]

وينبغـي هنـا أيضـا أن نقـول إن العبـادات التـي أمرنـا الله بهـا عـز وجـل التـي تكـون مدخـلا لتقـوي الله عـز وجـل يترفـق بهـا الله عـلى الإنسـان ولا يشـق عليـه ولا يكلفـه أكثـر ممـا يطيـق وكان رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم يقـول:

«إن لبدنك عليك حقا»

وإن الله كان رحيـما بعبـاده يـدرك ظروفهـم وأحوالهـم وينـزل مـن العبـادات ويقننهـا وهـو يعـرف أنـه خلـق الإنسـان مـن ضعـف وحـين اسـتأذن عبـد الله بـن عمـر رضي الله عنـه أن يصـوم الدهـر كلـه راجعـه رفقـا بـه وطـاب منـه أن يصـوم يومـا ويفطـر يومـا كـما كان يفعـل داوود عليـه السـلام.

كـما رخـص الله لنـا الإفطـار في شـهر رمضـان في حالتـين في حالـة السـفر وحالـة المـرض.

يقـول الله تعـالي: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سـورة البقرة:١٨٤]

عظمة الرسول صلي الله عليه وسلم في فصاحته:

سبحان الله العظيم الذي جعل الرسول محمدا صلي الله عليه وسلم النبي الأمي (أي لا يقرأ ولا يكتب) أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء وأذكي الأذكياء. من عند من كل هذا؟ من عند الله عز وجل الذي أوكله تأدية الرسالة العظيمة الموكل بها فكانت معجزته القرآن الكريم الذي تحدي به بلغاء العرب وفصحائهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا فكان عجزهم دلالة على معجزة الخالق تعالي وهم يعرفون أن الرسول صلي الله عليه وسلم منذ صغره لا يعرف الكتابة ولا القراءة ولم يعلمه أحد ولم يتلقى أي دروس في مكان ما في قريش منذ نعومة أظافره فكيف يأتي بالقرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه قال صلي الله عليه وسلم «بعثت بجوامع الكلم» (رواه البخاري-أحمد-مسلم).

أي بعتني ربي بكل فصيح وبليغ وأتحدث إلى جميع قبائل العرب كل قبيلة بلهجتها وكأني نشأت وسطهم وتعلمت منهم.

وقد روي أن عمر بن الخطاب قال له صلي الله عليه وسلم:

يا رسول الله ما بالك أفصحنا؟ قال: «لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان درس فأتى به جبريل عليه السلام فعلمنيه»

وبهذا نعلم أن علم وفصاحة صلي الله عليه وسلم لم تكن من تعليم بشر وإنما هي من تعليم الله سبحانه وتعالي.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله صلي الله عليه وسلم.

كان الرسول الكريم حيث يتكلم يفصل الكلام ويخرج الحروف من مخارجها الصحيحة وكان لا يسرد الكلام سردا فقط بل كان يعيده أكثر من مرة لتفهم منه وكان الفصاحة وعظمة في البلاغة لا يقدر بشر على أن يأتي بمثله أبدا. وصدق الله تعالي عندما تحدث عن كتابه الكريم القرآن المجيد فقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢]

وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله:

«خصلتان (صفتان) من كانتا فيه كتبه الله تعالي شاكرا صابرا - من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدي به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه»

وقد كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عائشة:

«أن أكتبي إلى كتابا توصينني فيه ولا تكثري»

فكتبت: سلام عليك أما بعد، فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وَكَلَه الله تعالي إلى الناس والسلام عليك»

وقال صلي الله عليه وسلم: «اعفُ (اترك) عمن ظلمك وصل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك»

وسوف نورد هنا بعض أقوال الرسول الأخرى من كلامه الجامع واقواله التي لا يجاريها أحد في فصاحتها... هذه الأقوال لو عملنا بها لكانت نورا يهدي الإنسان إلى الطريق السليم طوال حياته ويستفيد منها لو طبقها وجعلها منهاجا يضيء به طريقه:

١. «ما هلك امرؤ عرف قدره»

٢. «رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم»

٣. «الظلم ظلمات يوم القيامة»

٤. «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»

٥. «كل معروف صدقة»

٦. «الحياء لا يأتي إلا بخير» «الحياء شعبة من الإيمان»

٧. «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»

٨. «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

٩. «ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة».

١٠. «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتربتم اهتديتم»

١١. «مماطلة الغني في دفع ما عليه ظلم»

١٢. «نعم صومعة (مكان) الرجل بيته»

١٣. «ما قل وكفي خير مما كثر وألهي».

١٤. «دع ما يريبك (أي يُشَك فيك) إلى ما لا يريبك»

١٥. والمعني أي أترك الأشياء التي تجعل الناس يَشُكون فيك وافعل الأشياء التي لا يَشُك فيها أحد.

١٦. «الندم توبة»

١٧. «المرءُ كثيرُ بأخيه»

١٨. «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فما كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

١٩. «أربعة من كنوز الجنة: كتمان الصدقة، المرض، والمصيبة، والفاقة (أي الفقر والحاجة) «.

٢٠. «وقال في توقير العلماء: وقروا علماء أمتي فإنهم نجوم الأرض».

٢١. «ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر».

٢٢. «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٢٣. «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا».

٢٤. «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق».

٢٥. «لا خير في صحبة من لا يري لك ما تري له».

٢٦. « الناس معادن»

٢٧. «ذو الوجهين (المنافق) لا يكون وجيها (أي ذات قدر) عند الله».

٢٨. «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها (تزيلها) وخالق الناس بخلق حسن».

٢٩. «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

٣٠. «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

٣١. «العاقل أَلوف مألوف».

٣٢. «لا يدخل الجنة نمام».

٣٣. «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

٣٤. «ليس الشديد من صرع الناس وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

٣٥. «من لا يَرحَم لا يُرحَم».

٣٦. «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة».

٣٧. «اليد العليا خير من اليد السفلي».

٣٨. أي اليد التي تعطي خيرا من اليد التي تسأل وتأخذ

٣٩. «يَدُ الله مع الجماعة».

٤٠. «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما». أي انصره بمنعه عن الظلم أو أدفع الظلم عنه.

٤١. «انتظار الفرج عبادة».

٤٢. «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٤٣. «احترسوا من الناس بسوء الظن».

٤٤. «إذا أتاكم كريم قوم أكرموه».

٤٥. «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا».

٤٦. «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنكم أخلاقا».

٤٧. « الناس سواسية كأسنان المشط».

٤٨. «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

٤٩. «نية المؤمن أبلغ من عمله».

٥٠. «الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد النحل العسل».

٥١. «الحرب خدعة».

٥٢. «الكَيِس (الفطين) من دان نفسه وعمل لبعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمني على الله الأماني».

٥٣. «المؤمن من أَمَنُهُ الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه».

٥٤. «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

٥٥. «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

٥٦. «لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك».

٥٧. «من دل علي الخير فله مثل أجر فاعلة».

٥٨. «صلة الرحم تزيد في العمر».

الحياء عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

إن الحياء في اللغة هو تغير وانكسار تغيري الإنسان من خوف ما يعاب به.

والحياء في الشرع هو: انقباض النفس عن كل ما هو قبيح وهو خلق يمنع صاحبه عن فعل قد يلام عليه فهو خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع التقصير في حق ذي الحق.

إن الحياء ملاك الخير وهو عنصر النبل في كل عمل وقد وصى الإسلام أبنائه بالحياء وجعل هذا الخلق السام أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل.

قال صلي الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» (متفق عليه).

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«الحياء لا يأتي إلا بخير» (متفق عليه).

وإن أسوة المسلم في هذا الخلق الفاضل الكريم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد شهد الله لرسوله بالحياء فقال تعالي: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها(مخدعها) - (صحيح البخاري) .

وعن حياء الرسول قول عائشة رضي الله عنها:

أنه إذا كان بلغه صلي الله عليه وسلم عن أحد ما يكره لم يقل بال فلان يقول كذا فلا يذكره باسمه حياء بل كان يقول:

«ما بال أقوام يصغون كذا أو يقولون كذا»

وقالت رضي الله عنها:

لم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق (يرفع صوته في الأسواق) ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

ومن حيائه صلي الله عليه وسلم أنه لا يواجه أحدا بمكروه

وقال أنس: دخل رجل علي النبي صلي الله عليه وسلم وبه أثر صفرة في ثوبه فلم يقل صلي الله عليه وسلم له شيئا فلما خرج قال: «لو قلتم له يغسل هذا» أي الصفرة في الثوب.

ومن حيائه صلي الله عليه وسلم أنه عندما دعا القوم إلى وليمة وأطالوا عنده المقام استحيا أن يقول لهم انصرفوا.

ومن شدة حيائه صلي الله عليه وسلم أنه لا يثبت بصره في وجه أحد ويكني عما أضطره الكلام أليه مما يكره ولا يصرح به.

ولكن هذا لم يمنعه الحياء من أن يحق حقا أو ينكر منكرا فعندما سألت أم سليم عن غسل المرأة إذا احتلمت لم يمنعه حياؤه أن يقول لها نعم إذا رأت الماء.

وعندما شفع أسامة بن زيد حبيب رسول الله صلي الله عليه وسلم وابن حبيبه فلم يمنع الحياء الرسول صلي الله عليه وسلم أن يقول لأسامة في غضب: أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟

«والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»

إن المسلم عفيف حي والحياء خلق له وهو شعبة من الإيمان والمرء حيثما يفقد حيائه يتدرج إلى سيء فأسوأ ويهبط من رزيلة إلى أرذل.

ومن صور الحياء:

الحياء من الله:

وهو اسمي منازل الحياء وأكرمها فإن حق الله على عبادة عظيم ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم وابتعدوا عن السيئات خجلا من مقابلة الخير بالجحود والخسة.

وعن مسعود رضي الله عنه:

استحوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعي والبطن وما حوي واذكروا الموت والبلي.

الحياء من النفس:

علي الإنسان أن يستحي من نفسه فيطهر فمه من الفحش وأن ينزه لسانه عن العيب وأن يخجل من ذكر العورات فإن من سوء الأدب أن يفلت منه لفظ بذيء أو يفعل سلوكا معيبا غير عابئ بما يخلفه ذلك من آثار، كما يجب عليه ألا يفعل في خلوته ما يستحي أن يفعله أمام الناس وكل ذلك لا يكون إلا بالإيمان فهو الصلة الكريمة التي بين العباد وربهم فأثر هذه الصلة تزكية للنفوس وتقويم للأخلاق وتهذيب

للأعمال ولن يتم ذلك إلا إذا تأسست في النفس عاطفة حية يترفع بها الإنسان عن الخطايا والدنايا أما إذا فقد الإنسان حياؤه أصبح وحشا ينطلق معربدا وراء شهواته منفلتا من قيود الدين منخلع من ركب الإسلام فلا يتهيب علي عمله حسابا ولا يخشي في سلوكه لومة لائم.

والحياء من النفس أيضا يجعل الإنسان يخجل من أن يقال عليه سوء فعليه أن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب بعيدة عن أن يمسها أحد بسوء.

فالرسول صلي الله عليه وسلم عنما رآه رجلان مع زوجته في ناحية المسجد استوقفهما لينبئهما بأنه ليس مع امرأة غريبة عنه بل غنها زوجته فقال صلي الله عليه وسلم: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» (متفق عليه).

الحياء من الناس:

وهو أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم وأن يؤتي كل ذي فضل فضله فلا ينكر معروفا أسدوه إليه ولا يخاطبهم بسوء ولا يجابههم بمكروه وعليه أن ينزه لسانه عن أن يخوض في أعراضهم ويكف بصره عن عورتهم ولا يسمح لأذنه أن تسترق سرهم.

تواضع الرسول صلي الله عليه وسلم:

كان الرسول صلي الله عليه وسلم متواضعا في غير ضعف سهلا لينا في غير عنف. كان يحب أن يظهر دائما بطبيعته

الحقيقية التي ليس فيها تكبرا أو غطرسة أو تعاظما وكان لا يحب التفاخر بالأحساب والأنساب وبالقوة أو العظمة أو بادعاء الغني والجاه والسلطان كما كان يفعل غيره من أشراف قريش حيث كان التفاخر بالحسب والنسب سمة مميزة لمعظم قومه.

كان لا يتكبر ولا يداهن أحدا ولا ينافق من يتعامل معهم لنيل غرضا معينا أو لشيء في نفسه.

اشترك بنفسه في بناء المسجد في المدينة وكان يحمل معهم مواد البناء وكان يرفض ترك هذا العمل وحاول صحابته إثنائه عن هذا العمل وتركه لهم لكنه بتواضعه العظيم وإصراره على العمل حتى تم البناء بفضل الله تعالي وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«إن الله أوحي إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحدا لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم).

وسئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلي الله عليه وسلم يفعل في بيته؟ قالت: يكون في مهنة أهله (أي في خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (رواه البخاري).

توفي إبراهيم ابن رسول الله صلي الله عليه وسلم فكسفت الشمس فقال الناس: إن الشمس كسفت لموت إبراهيم فقام في المسجد وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وصلوا وتصدقوا.

ومن أقواله صلي الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»

إن التواضع صفة عظيمة من صفات الرسل والأنبياء وهي صفة ضد التكبر والغطرسة، وإذا التزم بها الإنسان دل علي كمال وعظم النفس الإنسانية.

وقد نهي الله تعالي عن الكبر في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان: ١٨]

والمعني: لا تجعل خدك يميل للناس من الكبرياء ولا تمشي فخورا بنفسك إن الله لا يحب كل متكبر فخور بنفسه.

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحمل بنفسه ما يحتاج إليه وقد حث علي التواضع وحذر من التعالي والتكبر وكان يخبر بأن أهل الجنة من المتواضعين، وأهل النار من الغلاظ القاسية قلوبهم أي اللذين ليس في قلوبهم رحمة أو شفقة بغيرهم من الناس.

وفي وصف الرسول صلي الله عليه وسلم يقول «عدي بن حاتم الطائي بعد أن فتح المسلمون بلاده:

دخلت علي محمد وهو بالمسجد فسلمت عليه فقال: من الرجل فقلت: عدي بن حاتم، وذهب بي إلى بيته فلقيته وهو في طريقه امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف معها طويلا وهي تكلمه في حاجة لها فقلت والله ما هذا بملك.

ثم ذهب بي رسول الله صلي الله عليه وسلم وتناول وسادة من جلد محشو بالليف فقدمها إلي وقال: اجلس على هذه قلت: بل أنت فاجلس عليها فقال: بل أنت فجلست وجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم على الأرض فقلت والله ما هذا بأمر ملك.

ولما لمس عدي من تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام وبساطته وحسن معاملته له وإكرامه له وطيب أخلاقه السامية السمحة أسلم عدي بن حاتم وصار من أحباب رسول الله المصطفي صلوات الله عليه وسلم.

الرجل يهاب الرسول صلي الله عليه وسلم ويعمل له ألف حساب ويسير معه ويراه يكلم إنسانة بسيطة ترغب في حاجة لها ويذهب معه بيته فلم يجد إلا وسادة واحدة من حشو الليف ويصر الرسول العظيم على أن يجلس الضيف عليها ويجلس هو على الأرض... كل هذه الشواهد تقر بعظمة أخلاق وتواضع المصطفي فيدخل الإسلام من أول وهلة. هذه

قصة نهديها إلى كل حاكم أو سيد أو رئيس أو زعيم لأمه ليري كيف كان رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم يعامل البسطاء ويستمع إليهم ويكلمهم ويجد وقتا كافيا لهذا كله.

بكاء الرسول صلي الله عليه وسلم:

كان الرسول صلي الله عليه وسلم يبكي من خشية الله تعالي وكان يبكي شفقة على أمته إن الرسول صلوات الله عليه وسلم بفضل ما أودعه الله في قلبه من رحمة وشفقة على أمته كان بكاؤه خوفا من الله عز وجل ولم يكن بكاؤه جزعا وهلعا وقلة صبر كما نراه اليوم عندما يقع المرء في مصيبة من المصائب أو كارثة من الكوارث.

وعن مطرف بن عبد الله قال: أتيت إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يصلي فسمعت جوفه وهو يبكي كصوت القدر الذي به ماء وهو يغلي. (رواه ابن ماجه)

وعن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اقرأ على فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمع القرآن من غيري فقرأت سورة النساء حتى وصلت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فرأيت عيني رسول الله صلي الله عليه وسلم تذرفان الدموع. (رواه الترمذي - أبو داوود)

بكي الرسول الكريم لأنه يعرف أنه سوف يكون شاهدا يوم القيامة على أعمال أمته وخاف على بعض من ارتكب المعاصي والآثام التي سوف تقضي إلى تعذيبهم في النار فبكي عليهم رحمة وشفقة بهم.

يري بعض الناس أن البكاء ليس من شيمة الرجال ولكن يري كثيرا من علماء النفس اليوم من تحليل شخصية الرجل الذي يبكي إنه مرهف الحس عظيم الإنسانية يحمل في جنبات قلبه الرحمة وعدم الإساءة للغير طيب القلب لا يحب الإساءة إلى أحد لكن ذلك لا يمنع من رجولته شيئا ولا ينقص منها بل منهم الكثير أقوياء الشخصية عظماء لا يلينون في وقت الشدة والجد.

الرسول صلي الله عليه وسلم يحب النظافة:

قال عطاء بن بشار:

أتي رجل سائر الرأس واللحية (شعر رأسه ولحيته غير منظم وغير ممشط) فأشار إليه وكأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ورجع فقال النبي:

أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان.

النظافة من الإيمان وكان المصطفي صلي الله عليه وسلم يقول:

إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجواد (جواد أي كريم) فنظفوا أفنيتكم.

فالرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم يحب النظام والنظافة وحسن المنظر والطيب، ويكره الوساخة والقذارة وعدم النظام وقبح المنظر والرائحة الكريهة.

فرض الله تعالي الوضوء قبل الصلاة لما للنظافة من أهمية كبيرة للمسلم قبل أن يقف بين يدي الله تعالي كما أمر بالاغتسال.

فالوضوء قبل الصلاة نظافة وعبادة.

والاستحمام نظافة والإسلام يدعو إلى نظافة الجسم وإلى نظافة الملابس والبيوت وكافة الأماكن والطرق.

وقال الله تعالي: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف:٣١]

والإسلام ضد القذارة والقاذورات وضد إلقاء الفضلات في الأماكن العامة والشوارع.

فالنظافة التي ننادي بها الآن في المدن والقري نادي بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان (تقريبا).

بقية الشمائل والخصال المحمدية:

ما دمنا في معرض الخصال الحميدة والشمائل المحمدية فكان للرسول الكريم صلي الله عليه وسلم منهجا واضحا في معاملاته الاجتماعية تكمل صفات خلقه الكريم من رحمة

وشفقة وتسامح وإحسان وورع وتقوي وشجاعة وزهد وصبر وفصاحة وأمانة وإخلاص وغيرها من الشمائل المحمدية التي تحدثنا فيها بالتفصيل في أبواب هذا الكتاب وأهم ما يميز منهج الرسول صلي الله عليه وسلم في معاملاته مع غيره من المسلمين وغير المسلمين ما يلي:

الرسول صلي الله عليه وسلم ينادي بالسلام:

قال الله تعالي في كتابه الكريم: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [سورة الأنفال: ٦١]

الرسول المصطفي صلي الله عليه وسلم كان خلقه القرآن والقرآن الكريم يدعو إلى السلام قبل حوالي أربعة عشر قرنا من الزمان قبل أن يدعو إليه جهابذة الدول الآن وينادون بالسلام ومنهم من ينادي ونري أفعاله غير أقواله.

لكن الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه كان فعله يسبق قوله وأمره الله تعالي في الآية الكريمة السابقة بالجنوح إلى السلم وترك الحرب بمجرد بادرة سلام تصدر من العدو.

ونحن هنا نورد بعض الأقوال المأثورة التي وردت على لسان ليس المؤلفين العرب ولكنهم المبدعين الأجانب الذين يتصفون بالنزاهة والحيدة والصدق للدفاع عن انتصارات الإسلام بالسلام:

« قامت الانتصارات المدوية للعرب على أسباب متنوعة تتجلي أهمها في الخلق السامي الذي كان قد تشربه العرب عن الدين الجديد. (كتاب الحضارة العربية - جاك ويسلر ص٢٧)

«لم ينشر القرآن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقه الشعوب» (غوستاف لوبون»حضارة العرب ص١٢٨)

«سيري القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم وأن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم» (غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ترجمة محمد عادل ص١٤٥)

«إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وقد أعفي البطاركة والرهبان وخَدَمهم من الضرائب»

(«ميشود» في كتابه الحروب الصليبية).

ونعود إلي محمد صلي الله عليه وسلم الذي رأي كل قبيلة عربية تقف لأختها بالمرصاد وتستولي علي موارد رزقها ورأي النزاع الدائم بين القبائل كما حدث بين قبائل عبس وذبيان وبين قبائل أمية وهاشم في مكة وبين قبائل الأوس والخزرج في المدينة فكانت الحروب مستمرة بين القبائل وقد تكون لأسباب تافهة فنادي الرسول بالسلام بين القبائل ونشر روح التسامح بين المتخاصمين علي المستوي الفردي ومستوي

الجماعات وخير الأمثلة الإيجابية التي حدثت هو ما حدث عند هجرته إلي المدينة وأرسي قواعد الدولة الإسلامية وتمت المصالحة بين قبيلتي الأوس والخزرج ونادي بالسلام بينهما وأزال ما بينهم من خلافات وحروب.

الشورى عند الرسول صلي الله عليه وسلم:

بالرغم من أن الله تعالي قد اختار الرسول صلي الله عليه وسلم لتأدية وإبلاغ رسالته إلي العالمين وفضله علي الرسل والأنبياء والناس أجمعين، إلا أنه لم يكن منفردا برأيه متسلطا علي من حوله بل كان يحب أن يسمع رأي الآخرين وينفذه إذا كان رأيا راجحا وخاصة من صحابته المقربين كان يسمع الرأي الآخر بصدر رحب وروح سمحة حتي في أحلك المواقف ففي غزوة الخندق (الأحزاب) وافق الرسول صلي الله عليه وسلم علي اقتراح «سلمان الفارسي» بحفر خندق في الجهة الشمالية من المدينة وشارك صلي الله عليه وسلم في الحفر وأصبحت المدينة مُؤَمنة من الجهة الشمالية وأما من الجنوب فقد كانت المنازل المتلاحقة تحيط بالمدينة كما ترك لليهود من بني قريظة أمر الدفاع عنها.

وكانت فكرة «سلمان الفارسي» فكرة صائبة حيث فشل حصار قريش للمدينة وتحول المسلمين من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم حيث لجأت قريش للانسحاب مع الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم.

ولا نذهب بعيدا إذا قلنا إن الله تعالي عز وجل قد ذكر في كتابه العزيز: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى:٣٨]

وهو تأييد من العزيز القدير لمبدأ الشورى في الإسلام في جميع المعاملات على مستوي الفرد والجماعة.

الرسول صلي الله عليه وسلم ينادي بالتعاون:

قال محمد صلي الله عليه وسلم:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»

حث رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلم علي التعاون في جميع مجالات الحياة والعمل بروح الفريق التعاون بين الفرد والفرد وبين الجماعة والجماعة وبين الفرد والجماعة وشبه نبي الله صورة هذا التعاون بصورة البناء الذي لا يتكامل إلا بالتصاق كل طوبة بأخرى فيه وما الجمعيات التي نراها اليوم تغزو حياتنا الآن وقد نجحت في رفع مستوى الأمم وجلب الرخاء وإرساء الحياة الاقتصادية الراسخة وساهمت في بناء المجتمعات الناجحة ونحن الآن نسمع عن جمعيات البناء والإسكان وجمعيات العلاج والاهتمام بالمرضى (كالصليب الأحمر والهلال الأحمر الدولية) وجمعيات البر والتقوي والتكافل والجمعيات الخيرية وكل ما نراه الآن من صور التعاون البشري ما هي إلا صورة واضحة لما كان ينادي به الإسلام والرسول صلوات الله عليه وسلم.

وخير كلام عن التعاون ما ذكره الله تعالي في كتابه العزيز: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة:٢]

ومعني الآيات الكريمة أن سبحانه وتعالي حض المؤمنين على الوقوف يدا واحدة لفعل الأعمال الخيرية وهي البر والتقوى والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العدالة والدفاع عن المضطهدين والمظلومين وتأدية الزكاة وإخراج الصدقات.

وفي نفس الآية الكريمة رفض لصور التعاون علي الشر والفساد والبغي والعدوان وارتكاب المعاصي.

وخير مثال للتعاون هو تعاون رسولنا الكريم مع صحابته وقومه في بناء المسجد النبوي الشريف وفي حفر الخندق في غزوة الخندق.

ونري الآن صور التعاون الدولي والاتفاقيات الدولية بين الدول وبعضها كالاتفاقات الاقتصادية والمعاهدات والمواثيق بين الدول المختلفة ونشر التعاون في الميادين العسكرية والميادين المدنية كالتعليم والصناعة والتصدير ما هي إلا صورا للتعاون بروح الفريق التي نادي بها الرسول صلي الله عليه وسلم.

الاعتدال والتوسط عند رسول الله صلي الله عليه وسلم:

خير الأمور الوسط في الإسلام وقد اشتقت كلمة الاعتدال من كلمة العدل ويرمز إلى العدالة بالميزان الذي يساوي بين كفتين.

ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها فلله حقوق يجب أن تؤدى وللنفس حقوق يجب ألا تهمل ولـلأسرة والأهل حقوق يجب أن تنفذ.

والإسلام دائما يدعو إلى اتخاذ الوسط في كل صفة من الصفات التي يكون الزيادة فيها أو النقصان مسببا للإخلال.

ففي الإنفاق مثلا تكون صفة البخل أو التقتير على النفس غير مقبولة وغير محببة وعكس صفة البخل هي الإسراف والبزخ وهي صفة غير مقبولة أيضا ولكن ينبغي للعاقل أن يتبع طريقا وسطا بين الصفتين وحتى صفة الكرم وهي صفة محببة وتقع بين الصفتين وقد ورد في كتاب الله العزيز الكريم آيات كثيرة تدلنا على نهج الاعتدال والتوسط بين الأشياء قال تعالي: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان:٦٧]

وقال أيضا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الاسراء :١١٠]

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال:

جاء ثلاثة إلى بيوت أزواج النبي صلي الله عليه وسلم فقال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم إليهم فقال:

«أنتم اللذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»

صدقت يا رسول الله الرسول يعيش عيشة طبيعية لا يغلق على نفسه الباب ويحبس نفسه للتعبد والعبادة فقط كما يفعل بعض الرهبان ولا يزاول أي عمل ولكنه يأكل ويشرب في وقت لا صيام فيه ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء ويعطي كل ذي حق حقه.

والمثل الشعبي يقول امسك العصا من المنتصف.

وفي مجال الدراسات النفسية يؤكد علم النفس الحديث في الدراسات على الطريقة المثلي لمعاملة الأطفال يؤكد أن معاملة

الأطفال بقسوة وغلظة وحرمانهم من الحنا والعطف والشفقة يخلق لنا عتاة جبابرة أو مجرمين يؤذون الناس، وعلى النقيض من هذه الصفة الصفة الأخرى وهي التدليل الزائد يفسد الأطفال ويخلق اناسا لا يستطيعون الاعتماد على النفس أو التصرف في أمور كثيرة في مواجهاتهم للحياة وربما يؤدي كثيرا لحالات الفشل في تعاملهم مع أمور الحياة.

أما التوسط في المعاملة فهو العامل الرابح في خلق أناس يمكن الاعتماد عليهم في المستقبل لبناء حضارة الأمة.

ويدعو الدين الإسلامي الحنيف والرسول الكريم صلوات الله عليه وسلم إلى الاعتدال.

الاعتدال الذي ينظم لنا كل أمورنا ومعاملاتنا فالاعتدال ينظم كل شأن من شئون المسلم في هذه الحياة.

والاعتدال هو الطريق الوسط بين الإفراط في الشيء أو التفريط فيه.

ولنضرب أمثلة من أمثلة الاعتدال:

فالاعتدال في العبادات يجب أن يخلو من الغلو والمبالغة وهو الإفراط، كما يجب أيضا أن يخلو من التفريط أي الإهمال وترك العبادة.

والاعتدال في المشي مثلا لتطبيقه كمثل من هذه الأمثلة هو أن نضع حدا بين الاختيال والتكبر، وبين المسكنة والتذلل.

وفي نهاية عرض الصفات الكريمة والعظيمة التي اتصف بها الرسول الكريم بالإضافة إلى المنهاج السليم والرائع الذي اتبعه المصطفي صلي الله عليه وسلم في حياته وتطبيقه في كافة معاملاته ساهمت في جعل الإسلام عقيدة وشريعة ملائمة للفطرة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

مطاعن وافتراءات علي الإسلام والرسول صلي الله عليه وسلم والرد عليها:

ما دمنا في معرض التعرض لأخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم وصفاته الكريمة والحميدة التي ذُكرت في معظم صفحات هذا الكتاب وجدنا كثيرا من الحاقدين والمتعصبين والملاحدة واللذين يكرهون الإسلام ولا يتمنون له الازدهار والانتشار ومن اللذين من هواياتهم تشويه الحقائق ونشر الأكاذيب ودس الاباطيل عن الإسلام والرسول صلي الله عليه وسلم من أحاديث مكذوبة وروايات ملفقة غير صحيحة بعيدة كل البعد عن الحق غارقة في ظلام الجهل تفتقر إلى المنطق والنزاهة دُست علي الإسلام وعلي الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم.

نورد بعض هذه الافتراءات والأباطيل وسوف نقوم بالرد على كل فرية:

١. الادعاء بأن القرآن الكريم من عند محمد وليس من عند الله.

٢. الادعاء بأن الإسلام انتشر بالقهر والسيف والإرهاب.

٣. الادعاء بأن الرسول كان رجلا شهوانيا يجري وراء اللذة ومتعة الجسد والتحامل عليه بسبب زواجه من أكثر من زوجة.

٤. الادعاء بأن الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود والرجم في الحج والصلاة رواسب وثنية.

٥. الادعاء الأول الذي يقول إن القرآن من عند محمد ومن تأليفه وليس من عند الله عز وجل وللرد على هذا الافتراء نسوق ما يلي:

محمد صلي الله عليه وسلم نبي أمي يذكر التاريخ ويعرف كل صغير وكبير في قريش أن محمدا لا يقرأ ولا يكتب ولا تعلم ولا درس ولا تتلمذ علي يد أحد قبل أن ينزل الوحي وخاطبه العزيز القدير: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٨]

فكيف يستطيع هذا الأمي أن يأتي بهذا القرآن الذي تحدي به المصطفي صلي الله عليه وسلم أساتذة البلاغة والفصاحة من العرب في كل البقاع فالقرآن مكتوب بلغة قوية عظيمة. فالقرآن معجزة الرسول الثابتة والراسخة والقائمة علي مر العصور.

تحدي به الجميع ولم يعرف أحد حتى الآن يأتي بمثله لقد أصبح القرآن مصدرا للتشريع المتكامل اجتماعيا ودينيا

واقتصاديا وسياسيا للمسلم وغير المسلم لا يضاهيه أي مصدر آخر للتشريع.

فكيف يمكن لهذا الكتاب الكريم أن يكون من عند محمد؟

وصدق العلي القدير حين قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:٨٢]

وقال عز وجل أيضا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ [سورة البقرة:٢٣-٢٤]

ريب=شك عبدنا: أي محمد صلي الله عليه وسلم

وقد حاول علماء الغرب الحاقدين بعد أن عكفوا على دراسة القرآن الكريم لا لتفهم معانيه أو العمل به ولكن لسبب آخر من أجل أن يجدوا خطأ واحدا لإثبات أنه من عند بشر فلم يجدوا وعجزوا عن ذلك لكنهم زعموا في الآية التي نسوقها الآن:

يقول تعالي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل:١٨]

أن بها خطأ تعبيريا في كلمة «لا يحطمنكم» حيث أن هذه الكلمة علي حد تعبيرهم لا يليق ذكرها مع النملة التي هي حشرة صغيرة وكائن ضعيف دقيق أي أن كلمة «لا يحطمنكم» تليق فقط بالشيء الكبير الصلب وهي غير مناسبة في هذا الموضع واعتقد علماء الغرب أنهم انتصروا في معركتهم الحاقدة في إثبات أن هذا القرآن من عند بشر وسكت العلماء المسلمون العرب لتفاهة هذا الاكتشاف وتمر الأيام حتي منذ شهور قليلة حتي اثبت أحد العلماء الأستراليين في علم الحشرات أن بالنمل مادة صلبة زجاجية أقوي من السيلكون يستطيع النمل بها أن يخترق السيراميك والخرسانة يقول العالم أنها مادة زجاجية أي سهلة التحطم.

وبعد هذا الاكتشاف المذهل انتكس علماء الغرب وأصبح ليس عندهم حجة بعد ذلك وصدق الله تعالي حين قال عن كتابه العزيز: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢]

في القرآن الكريم إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات أشارت إليه بعض الآيات وقت نزوله ولم تكتشف إلا في العصر الحديث فكيف عرف محمد كل هذه الحقائق العلمية قبل اكتشافها؟ ألا يكون ذلك مدعاة لأن نقول إنه بذلك من عند الله العزيز القدير.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [سورة النازعات: ٣٠]

الدح: (عند العرب بمعني البيضة)

هذه الآية الكريمة تثبت أن الأرض كروية وليست مستوية كما يراها الإنسان ولم يكتشف ذلك إلا بعد وفاة محمد بعدة قرون.

وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]

الحقيقة العلمية التي اُكتُشفت حديثا تقول إن كمية الهواء تقل في الأجواء العالية ويقل تبعا لذلك الضغط ويصبح الضغط الداخلي في الرئتين داخل الصدر أكبر من الضغط الخارجي ويضيق صدر الإنسان ويصعب عليه التنفس.

كيف عرف محمد هذه الحقيقة وفي أيامه لم يصعد أحد في الأجواء العليا لعدم اختراع الطائرة آنذاك.

ولكن ذُكر ذلك في القرآن هل هذا من عند بشر؟

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]

اكتشف العلماء في العصر الحديث نظرية انتشار الكون وتمدده وزيادة حجمه كلما مر الزمن.

كيف عرف محمد هذه الحقيقة العلمية والتي لا يعرفها إلا المتخصصون في علم الفلك والطبيعة؟

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [سورة يونس:٩٢]

هذه الآية جعلت العالم والطبيب الفرنسي الجراح الشهير «موريس بوكاي» يعلن إسلامه بعد أن كان نصرانيا.

كيف حدث ذلك نبدأ القصة:

تتحدث الآية الكريمة عن فرعون مصر الذي كان مشركا أيام النبي موسي لقد غرق فرعون في البحر أثناء مطاردته سيدنا موسي ولم تكتشف جثته إلا في عام ١٨٩٨ ميلادية في مصر أي قبل مائة عام تقريبا حيث وجدت المومياء في تابوت من آثار الفراعنة.

وطلبت فرنسا من مصر استضافة المومياء لإجراء فحوصات أثرية ومعالجة وقام بهذه الفحوصات العالم الجراج الشهير «موريس بوكاي» أشهر جراحي فرنسا واكتشف أن بالجثة كمية كبيرة من الملح دليل علي أنه مات غريقا ونظر الآن حالة المومياء كانت ممتازة ولم تتحلل مطلقا فعرف أنها استخرجت من البحر بعد غرقه فورا وأنهم أسرعوا بتحنيط الجثة لينجو ببدنه وكانت الجثة أكثر سلامة من غيرها رغم أنها استخرجت من البحر ودهش موريس بوكاي وكان

الطبيب المصري الذي سافر مع المومياء واشترك مع فريق موريس بوكاي مسلما وحدث بوكاي أن القرآن الكريم تحدث عن نجاة هذه الجثة التي لم يعرف عنها أحد شيئا إلا في عام ١٨٩٨م.

فتعجب بوكاي لأن جميع الكتب المقدسة لم تتحدث عن نجاة هذه الجثة ولكن تحدثت عن غرقها فقط ما عدا القرآن الكريم الذي ذكر نجاة هذه الجثة.

كيف عرف محمد أن الجثة سوف تنجو وتظهر وهو قد مات قبل أربعة عشر قرنا من الزمان...معني ذلك أن القرآن الكريم ليس من عنده ولكن من عند عزيز مقتدر.

صاح «موريس بوكاي» وأعلن إسلامه وألف كتابا هاما عن ذلك أسماه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) ذاع صيته وترجم إلى عدة لغات.

أعيدت الجثة (المومياء) إلى مصر وهي محفوظة الآن في المتحف المصري في أحسن حالاتها لتشهد علي صدق الآية الكريمة ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾

ملحوظه: أقر علماء التاريخ أن فرعون مصر ما هو إلا «رمسيس الثاني» الملك الفرعوني.

إنني أعتذر للقارئ للإطالة في هذه النقطة بالذات لما لها من أهمية ودلالة كبيرة علي صدق محمد عليه الصلاة والسلام.

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يمكن الكتابة فيه بإسهاب كبير ولا أكون مبالغا إذا قلت إنه يمكن كتابة عدة كتب طويلة في هذا الموضوع الذي ليس مجاله هنا الآن.

هذا ويجب أن أنوه وأشير إلى نقطة هامة جدا قد يغفل الكثير عنها أنه آن الآوان لكي نقول إن القرآن الكريم لا يستطيع ذكر كل الحقائق العلمية والنظريات المكتشفة ولا نستطيع أن نحمل آياته أكثر مما يجب وأيضا لا ينبري كل غير متخصص لشرح آيات معينة ليظهر ما يثبت أو يدعم ما يدور في خلد الباحث إلا ما يكون واضحا جدا كعين الشمس ويتفق عليه كوكبة كبيرة من العلماء والفقهاء المتخصصين.

فالقرآن الكريم أنزله الله تعالي كتشريع سماوي لإنقاذ البشر من الضلال وهدايتهم إلي الحق.

الادعاء الثاني الذي يقول إن الإسلام انتشر بالقهر والسيف والإرهاب وللرد على هذا الافتراء نقول:

أن القرآن الكريم الذي هو خلق الرسول علية الصلاة والسلام أعطي الحرية الكافية في اختيار الدين والعقيدة التي يؤمن بها قال تعالي: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]

ويقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف:٢٩]

وقال تعالي أيضا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [سورة الكافرون:١-٦]

الآيات القرآنية التي ذكرناها كلها تخير الإنسان في اتباع دين محمد صلي الله عليه وسلم أو عدم اتباعه أي أنها تعطي حرية الاختيار في العقيدة التي يرغبها الانسان وكيف يقول الله تعالي: لا إكراه في الدين ثم نتهم الرسول الكريم في إكراه الناس على الدخول في الدين الإسلامي؟ المنطق هنا لا يستقيم مطلقا ولا يقر عاقل بهذا أبدا.

لقد مكث محمد صلي الله عليه وسلم في مكة يدعو إلي الإسلام متحملا الأذى والاضطهاد والظلم من قريش وهاجر إلى المدينة دون أن يريق نقطة دم واحدة.

لم يشرع الله تعالي لمحمد أو لغيره من المسلمين القتال إلا دفاعا عن النفس والعرض والمال يقول عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾

[سورة البقرة: ١٩٠-١٩٣]

الآيات الكريمة تتحدث عن القتال والمعني في نهاية الآيات واضح كعين الشمس حيث قال الله تعالي: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣]

أي أنه يا محمد لا تقاتل من أنهي القتال معك وسكت وسحب سلاحه ولا تقاتل إلا الباغي الظالم الذي لم يستجيب لنداء وقف القتال.

إنه السلام والسلم الذي نادب به القرآن قبل عشرات القرون... السلام الذي يتشرق به دعاة السلام هذه الأيام والآية التالية هي الضربة القاضية لكل من يتهم الرسول والإسلام بالإرهاب

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال:٦١]

ونتحدث عن عودة الرسول محمد صلي الله عليه وسلم إلى مكة بعد أن أخرجه أهل قريش منها قسرا وجبرا وآذوه في بدنه ونفسه وصادروا ممتلكاته وممتلكات من معه من المؤمنين دخل رسول الله الكريم مكة فاتحا منتصرا بإذن الله وبركاته ولم ينتقم ولم تُزهق أرواح أو تراق قطرة دم وأعطي المصطفي الأمان للجميع لثقته في النصر ولثقته في نفسه وإيمانه المطلق بوقوف الله تعالي معه ومآزرته له هو وأتباعه المؤمنين.

قال محمد صلوات الله عليه وسلم: من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل بيته واغلق عليه الباب فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ومن أبو سفيان هذا؟

إنه من أمراء قريش وكان كافرا ثم دخل في دين الله تعالي لما رأي عظمة هذا الدين ومكانته.

استطاع بهذه الحروب أن يحرر الجزيرة العربية من الشرك والوثنية بأقل الخسائر في فترة وجيزة.

وأما حروب النبي صلي الله عليه وسلم ضد اليهود فكانت بسبب نقض اليهود لعهودهم معه وهو في اشد ساعات الحرج بعد أن ساعدوا قريش وحرضوها ضده.

هذا وقد حاول اليهود قتل رسول الله صلي الله عليه وسلم مرتين: مرة بفخذ مسمومة ومرة كانت بإلقاء حجر عليه من سطح دار كان يجلس بجوارها.

فحرب رسول الله الكريم ضد اليهود كانت مشروعة ولها ما يبررها.

ونستطرد ونقول إن حروب النبي الكريم ضد الغساسنة فكانت بسبب الخسة والنذالة التي اتصفوا بها بعد قتلهم مندوب رسول الله في رسالة سلام إليهم حيث أرسله رسول الله يدعوهم للإسلام بالحسني ولم يظن فيهم خستهم ونذالتهم فكان يمكنهم رفض الإسلام بهدوء دون خيانة فانتهكوا العرف الدولي بلغة عصرنا هذا وقتلوا مندوب الرسول صلي الله عليه وسلم.

فأرسل لهم الرسول جيشا لتأديبهم فيما يسمي بسرية (مؤته) فكان ذلك عملا دفاعيا.

ويجب أن نذكر هنا أن الروم كانت تساعد الغساسنة فكانت حربه مع الروم بسبب مساعدتهم للغساسنة حربا دفاعية مشروعة.

وقد دافع الرسول صلي الله وسلم عن نفسه وعن قومه ضد الروم حينما علم أنهم يجتمعون على حدود فلسطين للقتال فقرر غزوهم في عقر دارهم فذهب غلي تبوك واقام هناك حتى انسحب الجيش الرومي.

وخلاصة القول إن الرسول قاد حربا عادلة بعد أن وضع السلم أساسا لسياسته ووضع الحرب للدفاع عن النفس والعرض والمال.

كما كان يذهب لتأديب الحاكم الظالم المغرور الذي يقهر شعبه حيث كان التسامح أساسا منهاجا له.

فهل نشر الإسلام بحد السيف والإرهاب كما ادعي هؤلاء العصبة من الحاقدين المفترين الملاحدة، وهل خطر ببال أحدهم أن يحصي عدد القتلى في هذه الحروب كلها خلال ثلاث وعشرين سنه من بعثة المصطفي صلوات الله عليه وسلامه حتى وفاته؟

إنه لم يتعد ولم يتجاوز أربعمائة وأربعين رجلا من العرب مسلمين ومشركين من الطرفين.

وأما ما قتل من اليهود بسبب خيانتهم للمسلمين ونقضهم للعهود والمواثيق مع رسول الله وهو في ساعات حرجة فهو ما يقرب من ستمائة إلى سبعمائة قتيلا.

فأي دعوة في العالم حققت مثل هذه الانتصارات التي توج بها الإسلام بهذه المدة وبهذه القلة القليلة من الخسائر البشرية.

فأساس الجهاد في الإسلام إنه جهاد في سبيل الله لرد الظلم والغي والعدوان عن الدين والوطن وكفاية حرية الدين والاعتقاد وتأمين طريق الدعوة لدين الله بأمر الله باعتبارها رسالة اجتماعية إصلاحية ومنقذة وشاملة تنطوي على مبادئ الخير والعدل والمساواة والإخاء وعبادة الله وحده.

ومن أسس الجهاد الإسلامي الهامة هو نصرة المظلومين والمضطهدين والمغلوبين على أمرهم من الشعوب.

وكان صلوات الله عليه وسلم في كل غزوة من الغزوات أو سرية من السرايا كان يأمر بمنع قتل الأطفال والنساء، ولكي نسترسل في هذا الموضوع نقول إن الرسول قد أسس وأعلن أن من آداب الجهاد في الإسلام عدم التمثيل بالجثث أو الإحراق بالنار أو تجويع الأعداء أو ترهيب الأسري ومن آدابه أيضا ضرورة إعلان الحرب قبل البدء في القتال والابتعاد عن الخداع والخيانة.

كان رسول الله الكريم لا يعلن الحرب إلا بعد استنفاذ جميع وسائل النصح والإرشاد والدعوة.

الادعاء الثالث الذي يقول بأن الرسول صلي الله عليه وسلم كان شهوانيا يجري وراء اللذة ومتعة الجسد والتحامل عليه بسبب زواجه بأكثر من زوجة.

وللرد على هذه الافتراءات والاكاذيب نقول:

والحق أن للإسلام خصوما وأعداء أعماهم الجهل وأضلهم التعصب واتهموا الرسول الكريم رسول الأمانة والشرف رسول الرحمة والتسامح والعدل الرسول الذي كان خلقه القرآن والذي عصمه الله من الأخطاء والزلل التي يقع فيها أي بشر، اتهموه بالميل إلي الشهوات والملذات لأنه تزوج أكثر من واحدة وهذا يدل علي جهلهم الأحمق وعلي تعصبهم الأعمى فقد افتروا علي النبي صلي الله عليه وسلم افتراءات

كاذبة وهو برئ منها كل البراءة ولو عرفوا حياته قبل البعثة وتتبعوا حياته من أولها حتي نهايتها ولو تركوا التعصب والتضليل جانبا وكان عندهم القليل من النزاهة والصدق لعرفوا أن الرسول كان زاهدا كل الزهد في متع الحياة والانخراط في الشهوات التي يفكر بها هؤلاء الآثمون المفترون.

ويتساءل العقلاء عن الدافع الحقيقي إلي تعدد زوجات الرسول صلي الله عليه وسلم في هذه الفترة من حياته الثالثة والسابعة بعد الهجرة بعد سن الخمسين والإجابة:

لتنفيذ مطاعن أعداء الدين وإبطالها نقول:

لقد تزوج الطاهر الأمين محمد صلي الله عليه وسلم زوجته الأولي وهي السيدة خديجة رضي الله عنها وهي التي طلبته للزواج منها واختارته وفضلته على سادة وأشراف قريش وهي ذات الشرف والكمال والمنزلة العظيمة عند قومها وكانت طاهرة وأمينة ووفية فوافق النبي علية الصلاة والسلام ومكث زوجا لها خمسا وعشرين سنة وهي معظم سنوات شباب الرسول ولم يتزوج عليها وتوفيت وكان سنه أربعا وخمسين سنة فهل بعد هذا العمر يفكر الانسان في الملذات والشهوات.

لقد اقتصر زواج الرسول علي زوجة واحدة طوال فترة شبابه وفترة الشباب التي فيها الرغبة الجامحة نحو الجنس والتمتع باللذات الجسدية.

لقد راي محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم أن عدد الأرامل والمحتاجات يزداد عددهن بعد استشهاد أزواجهن في الغزوات ولم يجدن من يحافظ على شرفهن وينقذ حياتهن ويصرف على أولادهن، فعطف عليهن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول الرحمة والبر، وتزوجهن وهن كبيرات في السن.

ولو كان محمد يجري وراء الشهوة والمتعة الجسدية لتزوج أبكارا جميلات في سن الشباب واكتمال الأنوثة وتوافر الجاذبية ولكن صلوات الله عليه وسلامه لم يفعل هذا إذ كانت زوجاته كلهن من الأرامل اللائي ذبل شبابهن ما عدا السيدة عائشة التي تزوجها وهي صغيرة لأنها ابنة صديقه المخلص الوفي وتزوجها إكراما له.

وتزوج الرسول الكريم من يهودية لأنها رفضت أن تعود إلى أهلها الغلاظ الشداد وكانت هي أسيرة في إحدى الغزوات بعد موت زوجها في الغزوة فتزوجها الرسول صلي الله عليه وسلم لأسباب إنسانية وهنا لا نغفل البعد السياسي للنبي فقد تزوجها لكي يخفف من شدة العداوة بين المسلمين واليهود.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حكمة رسولنا الكريم وبعد نظره.

تزوج الرسول أيضا من قبطية للتقريب بين الأقباط والمسلمين.

ولقد استعرضت في عجالة قصيرة أسباب زواج النبي بعدة زوجات وكان التشريع الإلهي اقتضي منه ذلك لأن الزواج كان أصلا لأسباب تشريعية ودينية وسياسية وإنسانية فوق كل شيء ولو حاولت أن أشرح وأعدد لماذا تزوج كل واحدة بالتفصيل لاحتاج هذا إلى كتاب خاص لكن مجالنا الآن في كتابنا لا يسمح بهذه الاستطالة.

ولنا أن نتكلم قليلا أيضا في هذا الموضوع استكمالا لدوافع الرسول لهذا التعدد.

فحينما تتصفح تاريخ الأبرار والصديقين ورجال الإصلاح اللذين حملوا أسمي الرسالات إلى هذا الوجود الذي نعيش فيه نجد أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت تلازم حياتهم ومع ذلك كانوا المثل الأعلى في الطهارة والعفة والهداية.

فإبراهيم عليه السلام تزوج أكثر من واحدة كذلك فعل يعقوب وداوود وموسى من أنبياء بني إسرائيل.

وكذا لو تصفحنا سيرة صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم لوجدنا عمر بن الخطاب وعثمان وعلي كرم الله وجهه قد تزوج كل منهم بعدة زوجات.

ومن هذا يبدوا لنا أن هذا التعدد في الزوجات في بيئات الهداه من الأنبياء والرسل لم تكن غريبة في هذا العصر فقد كانت أشبه بتقليد متبع ولحكمة مقصودة وليست الشهوة الجنسية هي المحرك والباعث الرئيسي لقبول فكرة هذا التعدد.

ومما يجدر ذكره أن بعض المغرضين والنفوس الحاقدة ذكروا أن رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم قد عدد زوجاته وزاد على أربع زوجات التي أحلها الله للمسلم كحد أقصي وإن كان تشريع الله العادل الكريم يؤثر واحدة فقط وذلك خوفا وتحذيرا من عدم اتباع العدل بينهم نقول إن هذه الآيات التي تحدد الزواج بأربع فقط قد نزلت في أواخر السنة الثامنة من الهجرة بعد أن تزوج النبي بزوجاته جميعا وكان العدد قبل ذلك غير محدد وكان يحل للمسلم قبل هذا الوقت الزواج بأي عدد من الزوجات كيفما يشاء.

فلماذا أغفل المستشرقون والمغرضون التاريخ والظروف التي أحاطت بكل زوجة من زوجات المصطفي صلي الله عليه وسلم.

الادعاء الرابع بأن الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود ورجم الشيطان في الحج والصلاة رواسب وثنية.

أما الرد على هذه المزاعم فأقول:

أن الله تعالي يريد أن يكرم العرب فجعل من مكة عاصمة لهم وهي قبلتهم يتوجه إليها المئات قديما في أول الإسلام وقد زاد العدد بفضل الله ويتوجه إليها الآن الملايين الآن بفضل نصرة الله للدين الإسلامي وسبحان الله في اختيار هذه البقعة المقدسة بالذات لتكون تجمعا للمسلمين في أنحاء الدنيا في مشارقها ومغاربها فهي تقع في منتصف الكرة الأرضية بعد

الدراسات التي قام بها مجموعة من العلماء وقد اختارها لحكمة هذا التوسط لاستقبال المسلمين من جميع انحاء العالم.

ويطوف المسلم حول الكعبة الشريفة بجسمه فقط أما روحه فهي متجهة هي وقلبه إلي الله تعالي ويقول لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وهذه عبادة ليست للحجارة التي بنيت منها الكعبة ولكن لله تعالي خالصة أما في الوثنية فتعدد الحجارة وعبادتها في مفهومهم أن لكل حجر إله وعملية التقديس للحجر ذاته وفي زيارة الكعبة الشريفة نتذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا إسماعيل عليه السلام لموقع بيتهم في هذا المكان ونحن نذكر سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وأما الحجارة فهي رمز فقط لبناء المقام.

وأما تقبيل الحجر الأسود أو الإشارة إليه باليد فهو رمز فقط ونظرا لأن الرسول كان يقبله أيضا كرمز لأنه من بقايا سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بني الكعبةُ م أعادت قريش بنائها ونحن حينما نقبل أو نشير إلي الحجر الذي لا ينفع ولا يضر وكل مسلم يعرف هذا إنما لنتذكر الرسول الكريم صاحب فكرة وضع الحجر في موضعه بعد أن اختلفت قريش علي ذلك.

كما نتذكر سيدنا إبراهيم أول من بني الكعبة وحطم بنفسه أصنام الكفار لتعدد آلهتهم ولعبادتهم الأحجار لذاتها... هذا ونذكر هنا أن تقبيل الحجر الأسود أو الإشارة إليه ليس من ضروريات الطواف حول الكعبة وليس شرطا من شروط الحج.

أما عملية الرجم للشيطان في الحج بعد الوقوف علي عرفة فجمع الحجارة وإلقائها في مكان واحد بالنسبة لملايين المسلمين لأن الكل يتذكر الشيطان في هذا الوقت وتتوحد القلوب مع بعضها وتتفق على محاربة الشيطان والتصدي له في مكان هو رمز أيضا لموقع الشيطان ولما يعود الحج إلى وطنه يتذكر هذا الموقف ويتذكر محاربته له فتصبح عملية الاستعداد لملاقاة الشيطان والتصدي له وكيد نحره هو عملية استدعاء للذاكرة كما يسميها علماء النفس فيكون التصدي له سهلا وفعالا.

هذا ولا يغفل أحد من المسلمين فوائد الحج لهم فهي فوائد روحية ونفسية وادبية واجتماعية واقتصادية وأما الفائدة الدينية فهي الأعم والأشمل.

فجمع غافر للمسلمين في عرفات رمز لتوحيد كلمة المسلمين واتجاهها روحانيا لقلوبهم وأنفسهم وروحهم.

وفي الحج مساواة بين الأفراد لا فرق بين فقير وغني كلهم في زيهم الموحد (الإزار) حتى يعلم كل مسلم أنه أمام الله لا يميز أحدا عن أحد إلا بالتقوي والعمل الصالح وأما في

النحر (الذبح) فهو فائدة للفقراء والمساكين ليس للعرب أو المسلمين وحدهم ولكن لفقراء العالم كله حيث توزع الذبائح عليهم ويقوم بهذا فريق متكامل أعدته حكومة المملكة العربية السعودية أعانهم الله على ذلك وجزاهم خير الجزاء.

فقد قاموا بتذليل جميع العوائق في جهد دؤوب في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين.

الآيات الكريمة التي ذكرت في القرآن الكريم في هذا الموضع قال تعالي: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾« [سورة الحج:٢٧-٢٨]

رجالا:(سائرين على أقدامهم)

وعلى كل ضامر:(كل راكب) فج عميق: أي بعيد

ملحوظة: يري دكتور زغلول النجار وهو من علماء المسلمين أن كلمة (عميق) ذكرت في القرآن الكريم دلالة على العمق في التباعد بين الأقطار وهي تثبت كروية الأرض لأنه لو كانت الأرض مسطحة لذكرت كلمة من كل فج بعيد. فكروية الأرض لم يعرفها أحد إلا في أيامنا هذه ولم يكن يعرفها رسول الله مما يثبت أن القرآن المجيد من عند الله وانا أعتذر

لذكر هذه النقطة في هذا الموضع الذي ليس هو موضوعنا هنا.

وأما عن الصلاة فالحديث عن فوائدها للمسلم فلا ينتهي ابتداء من الوضوء أو الاغتسال لما له من فوائد صحية لجسم الإنسان إلى الوقوف امام الله يتذكر الله ويعمل له ألف حساب فالإنسان يترك مشاغل الدنيا ويتجه بمشاعره وروحه إلي الله وغني عن الذكر أن صلاة الجماعة خير من صلاة الفرد بسبع وعشرون درجة فالكل أمام الله لا فرق بينهم. لا فرق بين غني وفقير ولا صغير ولا كبير المساواة أمام الخالق إن الذي يناجي ربه خمس مرات في اليوم الواحد كفيل بأن يترك ويبتعد عن كل الموبقات ابتداء من الغش والفساد والظلم وانتهاك الحرمات وفعل المعاصي لأن الإنسان يخجل من ربه ويدخل في قالب الخشوع له والتذلل فيدفعه ذلك إلى التخلق بالخلق الطيب الصالح بالعدل والوفاء والصدق والكرم والأمانة والصفح عن الغير وإن من يصدق في صلاته ليحس ويتذوق الشفافية والروحانية والهدوء وراحة البال ولذلك يقول رينان: «ما دخلت مسجدا قط دون أن تهزني عاطفة حارة في أعماقي»

وكتب سعيد ابن الحسن أحد يهود الإسكندرية الذي اعتنق الإسلام سنة ١٢٣٨ م عن مشهد صلاة الجمعة باعتباره سببا رئيسيا في تحوله إلي الإسلام فقال: رأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولي علي شعور عميق من الرهبة ولما ختم كلماته في خطبة

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعني إلي النهوض لأن الصفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله القدير في سجداتهم وركعاتهم له، وخطر في نفسي أنه:

إذا كان الله قد تحدث مرتين إلي بني إسرائيل في كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة، وأيقنت في نفسي أني خُلقت لأكون مسلما.

من كتابه (الدعوة إلي الإسلام ص٤٥٨-٤٥٩).

وذكر أطباء العظام أن للصلاة فوائد عظيمة في علاج خشونة المفاصل وانحناء القوام ولتقوية جميع عضلات الجسم وعلاج معظم اضطرابات الدورة الدموية.

لقد قمنا بالرد على جميع المطاعن والافتراءات التي ذكرها الحاقدين والمتعصبين فأي حجج آخري يأتي بها هؤلاء الملاحدة لإلهاء المسلمين عن مسيرتهم الصامدة لنصرة دين الله القوي العظيم.

دفاع الأجانب عن الرسول صلي الله عليه وسلم:

في العجالة السابقة كتبنا عن المطاعن والافتراءات علي الإسلام والرسول صلي الله عليه وسلم وقمنا بالرد الكافي الملخص علي كل فرية علي حدة وعلي النقيض في الجانب

الآخر وجدنا كثيرا من المستشرقين والأجانب اللذين يتمتعون بالصدق والنزاهة وبعد دراستهم للإسلام ولشخصية الرسول صلي الله عليه وسلم عرفوا الحق واقتنعوا أن دين الإسلام هو الدين الحق وأن الرسول محمد صلي الله عليه وسلم هو رسول الله الشخصية العظيمة التي تركت في نفوس كل من درسها وتعمق فيها أثرا طيبا إيجابيا مما حدي بكثير منهم أن يؤمن بالله وبالرسول الكريم ومنهم من في طريقه للإسلام وإعلانه ونحن المسلمون نرحب بكل من ينير الله قلبه بالإيمان ويهديه إلي الطريق المستقيم ونحن نفتح أذرعنا لهم لينضموا إلي كتائب المهتدين وينشروا لواء الإسلام في كل مكان وسوف يجد كل منهم الحب العظيم والاحترام الزائد والأخوة الصادقة إلي الزمرة الصادقة النزيهة فإلى اللقاء الكبير في جنة الخلد يا معشر من في الشرق ومن الغرب تحت رعاية المولي عز وجل.

يقول السير وليام موير في كتابه (سيرة محمد، ص ١٠١) :

«امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وإنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد صلي الله عليه وسلم ولا عجب فمحمد صنع أمه ملأ ذكرها التاريخ وأحيا قوما كانوا جفاة بداة وليس لهم حظ من علم فملئوا الأرض علما ونورا وعرفانا وأدهشوا الأمم العريقة في الحضارة الراسخة القدم في العمران.»

ويقول توماس كارليل الفيلسوف والكاتب الإنجليزي في كتابه (الأبطال):

«قوم يعيشون في الصحراء عدة قرون لا يؤبه لهم فلما جاءهم النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرف فكثروا بعد قلة وعزوا بعد ذلة ولم يمضي قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم.»

ويقول (اللورد هدلي):

«رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدي للمتقين أوحي الله بها إليه فجاءت مخفضة لصرامة أحكام التوراة ومكملة لكتاب المسيح.

كان محمد داعيا إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره والصدق والأمانة يعتقد أن الدين هو أقرب الأشياء إلي العقل وإلي الطبيعة وأن الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر الله.

وكان محمد غيورا متحمسا وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعني سام»

عظمة الرسول في نظر (أوغست كونت) أحد الفلاسفة الفرنسيين قال المؤرخ التركي مراد: إن أوغست كونت كان يطعن في الإسلام ونبيه وتأثرا بروح التعصب الديني وحدث أن زار الأندلس ووقف أمام آثار المسلمين فيها

وانتقل إلى روما وعكف على بعض الكتب التي تعرف الإسلام والمسلمين ليقرأ وكان ما لفت نظره أمية الرسول وعدم معرفته القراءة والكتابة وكثيرا ما كان يتساءل: كيف يتاح لمن عاش في الصحاري ولم يدرس ولم يقرأ ولم يكتب أن ينشئ الشريعة الإسلامية التي لا تماثلها شريعة في أحكامها وفلسفتها؟ وقد اجتمع (بالبابا بيوس) التاسع وسأله عن رأيه وقال له: أصحيح أن محمد كان أميا كما يدعى المسلمون وتذكر كتب التاريخ أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة؟ فأجابه بجوابه المشهور: نعم إنه كان أميا، فعند ذلك لطم (أوغست كونت) وجهه وقال: «وا خجلاه منك يا محمد إنني ظلمتك فالويل لك يا أوغست إنني أقر وأعترف بأن محمد أصغر من إله ولكن على كل حال أسمي وأكمل من البشر»

وأقول إن ما قام به المصطفي صلي الله عليه وسلم من أعمال عظيمة لم يقم بها أحد من قبله من الأنبياء والرسل مع أميته وعدم معرفته للقراءة والكتابة أكبر دليل علي عظمته.

إن عظمة محمد تبدو في إجلاله لموسى وعيسى ومن سبقه من الأنبياء الرسل وتسجيله بمعجزاتهم في حين أن كثيرا من المتعصبين من رجال الدين قد افتروا علي رسول الإسلام وعلي المسلمين كثيرا من المفتريات الكاذبة التي تبعد عن الحقيقة والواقع كل البعد.

ولو نُشر الإسلام ومحاسنه وفراياه باللغات الأجنبية لزال ما يدعيه من يجهلون الإسلام من الغربيين من الافتراءات عليه ولعرفوا الإسلام علي حقيقته ولأسلم الكثير منهم ولو نشرت مآثر الإسلام الروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية باللغات الأجنبية لأيقنوا أن الإسلام دين المستقبل وسيعم العالم كله حينما يُعرف حقيقته وأصوله ومبادئه.

إن أكبر خدمة للإسلام أن نترجم معاني القرآن الكريم ترجمة سهلة إلى اللغات الأجنبية ونكتب كتبا باللغات الأجنبية عن عظمة الإسلام وعظمة محمد والمثل العليا في الإسلام حتى يُعرف الإسلام علي حقيقته.

إن في الإسلام حلولا قوية وجوهرية لكثير من المشكلات العالمية التي نراها الآن في الشرق والغرب.

عموم الرسالة المحمدية

وعالمية الإسلام

سنوضح في هذه العجالة القصيرة الفرق الجوهري بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى.

فالله تعالي أرسل محمداً رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى كافة البشر في أنحاء العالم ليهديهم إلى الصراط المستقيم فانتشر الإسلام في الجزيرة العربية أولا ثم تعدي الجزيرة العربية. ما

من مكان على سطح الأرض إلا وتجد الإسلام قد حط عليه ونهل أهله من ينابيعه العامرة بالرحمة والإحسان **والتسامح والعدل والمساواة الإنسانية**.

أما في حالة الأنبياء والرسل الآخرين فإن كل نبي أو رسول أرسل إلى قومه فقط ليهديهم ولهذا كان الرسول محمد صلي الله عليه وسلم خاتما للمرسلين.

أما الآيات الدالة على عموم رسالة الإسلام وعالميته فكثيرة وننتقي منها:

١. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾ [سورة ص:٨٧-٨٨]

٢. وقال تعالي أيضا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:١]

٣. وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]

وهذه الآيات الدالة على عالمية الإسلام يقابلها الألفاظ المحدودة الواضحة على ذكر الأنبياء والرسل الآخرين كل مرسل لقومه فقط

١. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف:٥٩]

٢. وقال عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٨٠]

٣. **وقال عز وجل أيضا:** ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف:٨٥]

٤. ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٥٤]

وهذه الآيات كلها واضحة وصريحة أن نوحا ولوطا وشعيبا وموسى بعث كل منهم إلى قومه فقط أما محمد عليه الصلاة والسلام فيوضح أنه للعالمين.

إن الصفات الكريمة والعظيمة التي اتصف بها محمد صلي الله عليه وسلم بالإضافة المنهاج الرائع الذي اتبعه المصطفي صلي الله عليه وسلم في حياته وتطبيقه في كل معاملاته وقبل ذلك كله العقيدة والشريعة العظيمة التي وضعها الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جعلت الإسلام عقيدة وشريعة ودين ملائم للفطرة وصالح

في كل زمـان ومـكان ليكـون منهاجـا للإنسـان لكـي يبـصر بـه ويسـير عـلي هـداه.

وفي النهايـة أسـأل الله العـلي القديـر إنـارة الطريـق المسـتقيم لـكل عبـد مـن عبـاده وأسـأله الهدايـة والتوفيـق للنـاس أجمعـين.